التطرف الديني في العالمين العربي والإسلامي.. الأسباب والمظاهر وآليات المواجهة

أ.د. جمال سند السويدي*
باحث واكاديمي من الامارات العربية المتحدة

* مدير عام مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية

مقدمـة:

على الرغم من أن التطرف، بشكل عام، سواء على مستوى الفكر أو السلوك، هو آفة قديمة عرفتها المجتمعات البشرية عبر التاريخ لأسباب مختلفة[1]، وعانت آثارها وتبعاتها الخطِرة؛ فإن التطرف الديني هو الأكثر خطورة من بين كل أنواع التطرف الأخرى[2]، السياسية والاجتماعية والعرقية وغيرها، بالنظر إلى ما ارتبط ويرتبط به من كوارث ومآسٍ وحروب؛ خاصة على المستوى الديني والمذهبي، ومثالها البارز الحروب الدينية بين أتباع المذهبين المسيحيين البروتستانتي والكاثوليكي، التي استمرت خلال الفترة من عام 1618 إلى عام 1648، الذي شهد توقيع معاهدة وستفاليا،[3] التي وضعت أسس الدولة القومية الحديثة وأنهت هذه الحرب الدينية الدموية، التي أسفرت عن ملايين القتلى[4]، واتصاله بالمقدسات والمعتقدات الدينية؛ ما يجعل التعامل معه معقّداً، والخلافات بشأنه حادة ودموية. ويُضاف إلى ذلك أن التطرف الديني اشتد واتسع، من حيث المجالات والفرق والجماعات والأفكار والممارسات، إضافة إلى الأخطار، خلال السنوات القليلة الماضية، بحيث أصبح مصدراً أساسياً من مصادر تهديد السلم والاستقرار في العالم؛ ولذلك فإن جانباً كبيراً من العمل من أجل تحقيق الاستقرار في المجتمعات المحلية والمحافظة على السلام العالمي هو العمل على تفكيك التطرف الديني، من حيث مضمونه وأنواعه وأسبابه وسماته، وكيفية التعامل معه، والتصدي لأخطاره.

ومن هذا المنطلق تكتسب هذه الدراسة أهميتها، خاصة أن التطرف الديني قد غدا من الأسباب الرئيسية التي تشوه صورة العرب والمسلمين، وتسيء إلى الإسلام كدين، وتسبب التوترات والاحتقانات بين الشعوب العربية والإسلامية وغيرها من

(1) انظر بالتفصيل حول الجذور التاريخية للتطرف: علي بن عبدالعزيز بن علي الشبل، «الجذور التاريخية لحقيقة الغلو والتطرف والإرهاب والعنف»، ورقة مقدمة إلى: المؤتمر العالمي عن موقف الإسلام من الإرهاب، (الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 2004)، ص.18.

(2) شيماء حسن، «مخاطر صناعة الكراهية بين الشعوب»، السياسة الدولية، (القاهرة، مؤسسة الاهرام، 18ـ 9ـ2017)، على الرابط التالي: http:// www.siyassa.org.eg/News/15276.aspx

(3) مصطفى أبو الخير، القانون الدولي المعاصر، (عمان: دار جنان للنشر والتوزيع، 2017)، ص.11ـ12.

(4) انظر حول هذه الحروب: نجاة سليم محاسيس، معجم المعارك التاريخية، (عمان: دار المنهل ناشرون، 2011)، ص. 233.

شعوب العالم، فضلاً عن أنها تثير الفرقة داخل المجتمعات العربية والإسلامية؛ ما يستنزف جهدها، ويحرف تركيزها عن العمل من أجل التنمية والتقدم. وإذا كانت هذه الدراسة تركز على التطرف الديني باسم الإسلام، فإن هذا لا يعني أن التطرف الديني، هو ظاهرة مقتصرة على الإسلام والمسلمين وحدهم، وإنما هي ظاهرة عرفتها وتعرفها كل الأديان والمذاهب، سواء السماوية أو غير السماوية، عبر التاريخ، بصيغ وأشكال مختلفة؛ ولذلك فقد عرف العالم مقتل ملايين البشر باسم الدين[5].

(5) انظر حول هذه النقطة بالتفصيل: مصطفى عمر وفيغرسهاوس التير، دور الدين في المجتمع، (عمان: دار المنهل ناشرون، 2013)، ص. 71ـ179.

فرضيات الدراسة وتساؤلاتها

تنطلق هذه الدراسة في تناولها لموضوعها من عدة فرضيات أساسية:

الفرضية الأولى هي أن التطرف الديني، على الرغم من إنه ليس مُجرما في ذاته، فإنه يُعد بيئة خصبة لظهور الإرهاب، ومقدمة له، خاصة إذا توفرت ظروف معينة.

الفرضية الثانية هي أن الإسلام هو دين الاعتدال والوسطية وليس فيه ما يبرر التطرف الديني أو يشجع عليه، بل العكس هو الصحيح، وأن المتطرفين يلجأون إلى التأويل الخاطئ والمنحرف لآيات القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة لتبرير ممارساتهم.

الفرضية الثالثة هي أن تعزيز قيم التسامح في المجتمعات العربية والإسلامية، من أهم آليات مواجهة التطرف الديني في هذه المجتمعات.

الفرضية الرابعة والأخيرة هي إنه لا يمكن بناء استراتيجية فاعلة لمواجهة التطرف الديني في المجتمعات العربية والإسلامية بدون إصلاح الخطاب الديني، لأن العلاقة وثيقة بين الجانبين.

ضمن السياق السابق تحاول هذه الدراسة الإجابة عن تساؤلات رئيسية عدة هي:

- ما التطرف الديني من حيث سماته وخصائصه وأنواعه وأسبابه؟
- ما العلاقة بين التطرف الديني والإرهاب؟ وهل يؤدي التطرف الديني بالضرورة إلى الإرهاب؟
- ما موقف الإسلام من التطرف الديني؟ بمعنى هل يدعم الإسلام في صورته النقية والصحيحة توجهات التطرف، أم أن المتطرفين يلوون عنق النصوص والآيات لخدمة أغراضهم الخاصة؟

- ما آليات الجماعات المتطرفة في تجنيد أتباعها وعناصرها والمتعاطفين معها؟
- كيف يمكن مواجهة التطرف الديني؟
- هل يكون العمل من أجل نشر التسامح هو المدخل الأساسي لمواجهة التطرف الديني؟
- أين يقع إصلاح الخطاب الديني في استراتيجية مواجهة التطرف الديني؟، وكيف ينجح هذا الإصلاح في تحقيق أهدافه؟

أولاً: التطرف الديني.. المعنى والمظاهر

التطرف لغوياً يعني الوقوف في الطرف، وهو مضاد للوسطية أو الاعتدال، ويقال تطرف في كذا، أي جاوز حد الاعتدال، ولم يتوسط[6]. ومن هنا فإن «التطرف يصدق على التسيب، كما يصدق على الغلو، وينتظم في سلكه الإفراط ومجاوزة الحد والتفريط والتقصير على حد سواء؛ لأن كلاً منها جنوح إلى الطرف، وبعد عن الجادة والوسط»[7]. أما التطرف اصطلاحاً فإنه «مجموعة من المعتقدات والأفكار التي تتجاوز المتفَق أو المتعارَف عليه سياسياً واجتماعياً ودينياً داخل الدول والمجتمعات»[8]، والمتطرفون، أياً كان مجال تطرفهم «يرفضون أي تسوية أو حل وسط مع الآخرين الذين لا يشاركونهم في آرائهم»[9].

والموقف من التطرف ليس واحداً، حيث يمكن أن يراه البعض أخلاقياً، بينما يراه البعض الآخر على العكس من ذلك، وهذا يتوقف على طبيعة المعتقدات والقيم والأفكار التي يؤمن بها الشخص وتحدِّد نظرته إلى التطرف، إضافة إلى السياق التاريخي أو الفترة الزمنية؛ فعلى سبيل المثال استخدم الزعيم الإفريقي الراحل، نيلسون مانديلا، حرب العصابات في مواجهته مع نظام الفصل العنصري في جنوب إفريقيا، ولم يتم النظر إليه على المستوى الدولي بصفته متطرفاً[10]، لأن السياق التاريخي كان مختلفاً. ويمكن أن يتخذ التطرف أشكالاً مختلفة أهمها: التطرف الديني، والتطرف السياسي، والتطرف الاجتماعي، والتطرف العرقي، والتطرف في القول، والتطرف في الفعل، وغيرها[11].

وثمَّة مفاهيم كثيرة تتداخل أو تختلط مع مفهوم التطرف، وتأخذ بعضاً من عناصره، لكنها في الوقت نفسه لا تتطابق معه في المعنى، مثل الغلو والتعصب والعنف والتصلب والجمود وغيرها. فعلى الرغم من أن المعنى اللغوي **للغلو** يتداخل مع معنى التطرف؛ حيث يعني الغلو «مجاوزة الحد وتعديه»[12]؛ فإن الغلو هو أعلى

(6) انظر: صلاح الصاوي، التطرف الديني.. الرأي الآخر، (القاهرة: الآفاق الدولية للإعلام، بدون تاريخ نشر)، ص. 8، ومحمد سيف خلفان بن حريمل الشامسي، التطرف الديني وأثره السلبي على الأمن الوطني (دبي: مركز دعم واتخاذ القرار، شرطة دبي،2015)، ص.21.

(7) سفير أحمد الجراد، ظاهرة التطرف الديني.. دراسة علمية حول ظاهرة التطرف الديني والتفكير ومفاهيم الغلو بشكل عام، (دمشق: دار محمد الأمين للطباعة والنشر والتوزيع، ط3، 2012)، ص.31. وانظر كذلك: عامر جوهر، «إشكالية التطرف وعلاقته بالعنف والإرهاب»، مجلة جيل الدراسات السياسية والعلاقات الدولية، العدد 11، (الجزائر: مركز جيل البحث العلمي، 2007)، ص. 94.

(8) أنس محمد الطراونة، «ظاهرة التطرف والإرهاب ما بين الفكر والعقل»، القاهرة، المركز الديموقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية، على الرابط التالي: http://democraticac.de/?p=24980

(9) إسماعيل سراج الدين، التحدي.. رؤية ثقافية لمجابهة التطرف والعنف (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2015)، ص. 91.

(10) شاكر عبدالحميد، «التفسير النفسي للتطرف والإرهاب»، كراسات علمية، العدد 37، (الأسكندرية: مراصد، مكتبة الإسكندرية، 2017)، ص.12.

(11) محمد حسين علي محاسنة، «موقف الإسلام من التطرف والإرهاب»، صحيفة الرأي، عمان، 2 فبراير 2016.

(12) بهلول نسيم «إشراف»، التطرف الديني، (عمان، الأردن: أمواج للطباعة والنشر والتوزيع، 2014)، ص. 14.

مراتب الابتعاد عن حد الوسط أو الاعتدال، أو هو الوصول إلى أقصى الطرف، في حين أن التطرف هو الابتعاد عن الوسط، وليس بالضرورة الوصول إلى أقصى الطرف[13]. وثمَّة من يرى أن اللفظين، الغلو والتطرف، بمعنى واحد، إلا أن لفظ الغلو من الألفاظ الشرعية التي استخدمها الفقهاء المسلمون عبر التاريخ، في حين أن التطرف مصطلح حديث يتم استخدامه من قبل الغرب[14].

ويشير **التعصب** إلى الحد الأقصى من عدم التسامح تجاه فكرة أو سلوك أو موقف «الذي يدفع إلى القضاء على الاعتدال بكل أشكاله وأنواعه»[15]، ووفقاً لقاموس العلوم الاجتماعية؛ فإن التعصب هو «غُلو في التعلق بشخص أو فكرة أو مبدأ أو عقيدة، بحيث لا يَدَع مكاناً للتسامح، وقد يؤدي إلى العنف».[16] ويتسم الشخص المتعصب بالتصلب والجمود الفكري والتسلط والميل إلى مجاراة الجماعة التي ينتمي إليها والاستسلام لضغطها[17]. وبهذا المعنى؛ فإن التطرف يشمل التعصب؛ لأن المتطرف يتعصب لرأيه، ويعتقد أنه هو الصواب، وما عداه خطأ، في حين أن التعصب لا يعني بالضرورة التطرف، فربما يتعصب الفرد لرأي غير متطرف.

و**العنف** هو الشدة، سواء في القول أو الفعل، ومن ثم فإنه لا يقتصر على العنف السلوكي فقط، وإنما يمكن أن يكون عنفاً في القول والمناقشة، وهو نتيجة للغلو والتطرف[18]. والعنف يمكن أن يكون فردياً، أي يصدر عن فرد، أو جماعياً، أي يصدر عن جماعة، ويُعَدُّ الإرهاب أحد أشكال العنف[19].

وينصرف مفهوم **التصلب** إلى مقاومة التغيير، سواء بالنسبة إلى المعتقدات، أو العادات والتقاليد وقواعد السلوك في المجتمع[20]. والتصلب والجمود والانغلاق من أبرز صفات المتطرف.

أما **التشدد**؛ فإنه يعني «عدم قبول الحق عند ظهور الدليل، بناءً على ميل إلى جهة أو طرف أو جماعة أو مذهب أو فكر سياسي أو طائفي»[21]. والتشدد بهذا المعنى يمكن أن يقود إلى التطرف والعنف.

والتطرف، الذي يعنينا في هذه الدراسة، هو **التطرف الديني**، ويعني «تجاوز حد الاعتدال والوسطية في فهم الدين؛ ما ينعكس بالسلب على السلوك»[22]، وهو الغلو في عقيدة أو مذهب و»التنطع في أداء العبادات الشرعية، أو مصادرة اجتهادات الآخرين في المسائل الاجتهادية، أو تجاوز الحدود الشرعية في التعامل مع المخالف»[23]. وهو كذلك «الاعتقاد والتطبيق للمعتقدات والأحكام الدينية بما لا

(13) سفير أحمد الجراد، مرجع سابق، ص. 59.

(14) عفاف بنت حسن مختار الهاشمي، العلاقة بين العمليات الإرهابية والغلو والتطرف، (الرياض: دار العاصمة للنشر والتوزيع، 2009)، ص.15.

(15) بهلول نسيم، مرجع سابق، ص. 27.

(16) أحمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، (بيروت: مكتبة لبنان، 1982)، ص. 154.

(17) بهلول نسيم، مرجع سابق، ص. 27.

(18) المرجع السابق، ص. 18.

(19) عبدالله بن عبدالعزيز اليوسف، الأنساق الاجتماعية ودورها في مقاومة الإرهاب والتطرف، (الرياض: جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، 2006)، ص ص.15ـ16.

(20) شاكر عبدالحميد، مرجع سابق، ص. 13.

(21) سفير أحمد الجراد، مرجع سابق، ص. 81.

(22) ضياء الدين إبراهيم أحمد نجم، دور الخدمة الاجتماعية في وقاية الطلاب من التطرف، (الإسكندرية: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، 2013)، ص.22.

(23) صلاح الصاوي، التطرف الديني.. الرأي الآخر، (القاهرة: الآفاق الدولية للإعلام، بدون تاريخ نشر)، ص. 10.

يتفق مع نصوص الأديان وغاياتها ومقاصدها في جميع الاتجاهات الأصولية، سواء كانت إسلامية أو مسيحية أو يهودية»[24].

والتطرف الديني، بهذا المعنى السابق، يمكن أن يكون تطرفاً كلياً اعتقادياً، أي متعلقاً بكليات الشريعة الإسلامية، وإما أن يكون تطرفاً جزئياً عملياً؛ بمعنى أنه يتعلق بجزئية واحدة أو جزئيات عدة من الشريعة الإسلامية[25].

ويحدد المتخصصون بهذا المجال أهم المظاهر السلوكية للتطرف الديني في الآتي: التعصب للرأي وجمود الفهم، والعنف في التعامل، والخشونة في الأسلوب، والغلظة في الدعوة، واستباحة أعراض الآخرين المختلفين في الدين أو المذهب وأموالهم من خلال تكفيرهم واتهامهم بالخروج عن الإسلام أو عن الدين، والسعي إلى هدم المجتمع بصفته مجتمعاً جاهلياً منحرفاً، إضافة إلى التمرد على السلطة القائمة، والعمل على إحداث تغيير راديكالي في المجتمع من خلال العنف[26]، وكراهية الأقليات ورفض اعتبارها جزءاً من المجتمع، ورفع الشعارات البراقة والساذجة في الوقت نفسه[27]. وتشير الدراسات المتخصصة إلى أن ثمة صفات للمتطرفين أهمها: الاغتيال المعنوي لشخصية الخصم أو العدو، وتبني المعايير المزدوجة، والميل إلى النظر إلى الخصوم والمنتقدين بصفتهم أشراراً، ورؤية العالم من خلال ثنائيات متضادة مثل: الخير والشر، ومع وضد، وطرح الشعارات الرنانة، والافتراض الخاص بالتفوق الأخلاقي على الآخرين، والاستجابات الانفعالية بعيداً عن المنطق والعقل، والميل إلى شخصنة حالة العداء، وإطلاق التعميمات، والميل إلى الجدل، وطرح القضايا من خلال التخويف والترهيب، وغيرها[28]. وإضافة إلى ما سبق، فإن هناك الكثير من السمات السيكولوجية أو النفسية للمتطرفين أهمها: سوء الظن تجاه الآخر، والانطواء والتقوقع على الذات، والعزلة عن المجتمع، والانغلاق، وعدم القدرة على التأمل والإبداع، وعدم الإيمان بالحوار مع الآخر، ورفض التعامل مع الأجنبي وبقائه في البلاد الإسلامية[29]. ويذهب أحد الباحثين إلى القول إن الشخصية المتطرفة أو الإرهابية تتسم بثلاثة أنواع من الخواء هي: **خواء المعدة**؛ بمعنى الجوع والعوز والفقر، **وخواء العقل**؛ بمعنى الجهل، و**خواء القلب**؛ بمعنى عدم القدرة على إقامة علاقة سوية مع الجنس الآخر[30].

وهناك درجات للتطرف الديني، الأولى تبني فهم خاص للدين؛ لكن من دون محاولة فرضة على الآخرين، أو القول ببطلان تدينهم، **والثانية** تبني فهم خاص للدين مع الاعتقاد أن فهم الآخرين للدين خطأ لا يحتمل الصواب، لكن من دون محاولة فرض هذه الرؤية على المجتمع، **والثالثة** تبني فهم خاص للدين لكن مع

(24) محمد سيف خلفان بن حريمل الشامسي، مرجع سابق، ص. 28.

(25) عبدالله بن عبدالعزيز اليوسف، مرجع سابق، ص. 19.

(26) ضياء الدين إبراهيم أحمد نجم، مرجع سابق، ص. 22.

(27) إسماعيل سراج الدين، مرجع سابق، ص ص. 91ـ92.

(28) شاكر عبدالحميد، مرجع سابق، ص ص.21ـ29. وانظر أيضاً: أحمد موسى بدوي، «رسالة إلى المجلس القومي لمكافحة الإرهاب: صناعة التطرف الديني وأدوات تفكيكه»، 15 أغسطس 2017، (القاهرة،المركز العربي للبحوث والدراسات) على الرابط التالي: http:// www.acrseg.org/40550

(29) سعيد عبيدي، «التطرف الديني وسيكولوجية المتطرفين: من دلالة المصطلح إلى محاصرة الظاهرة»، (الرياض، مركز نماء للبحوث والدراسات)، على الرابط التالي: http://www.nama_center.com/ ContactUs.aspx

(30) محمد فتوح، الشيوخ المودرن وصناعة التطرف الديني، (القاهرة: مكتبة مدبولي، 2006)، ص.38ـ39.

مهاجمة فهم الآخرين، ومحاولة التبشير بفهمه ونشره في المجتمع، **والرابعة** تبني فهم خاص للدين مع العمل على فرضه على الآخرين بالعنف، وهناك علاقة وثيقة بين هذه المراحل الأربع، فغالباً ما تنتهي المرحلة الأولى إلى المرحلة الرابعة؛ بمعنى أن التطرف البسيط الذي يعتنقه الشخص في المرحلة الأولى، غالباً ما ينتهي به إلى المرحلة الرابعة الأكثر تطرفاً وعنفاً[31].

(31) عبدالمجيد عمر النجار، «الحرية الفكرية في مواجهة ظاهرة التطرف»، في: مجموعة مؤلفين، ظاهرة التطرف والعنف.. من مواجهة الآثار إلى معالجة الأسباب، ج1، كتاب الأمة، السنة 35، العدد 167، 2015.

ثانياً: أساليب الجماعات المتطرفة في تجنيد عناصرها

من الأسئلة المهمة في هذا السياق هو: كيف يتم صنع التطرف الديني؟ بمعنى كيف تستطيع الجماعات المتطرفة جذب الأتباع إليها وتحويلهم إلى متطرفين؟ وما الآليات التي تلجأ إليها لتجنيد عناصرها؟

وفي الإجابة عن هذا السؤال يشير الخبراء في هذا المجال إلى أن هذه الجماعات تستخدم آليات عدة تقوم على ترتيب مدروس للتأثير في الأفراد وتحويلهم إلى متطرفين، **الأولى آلية المحاكاة**: وتعني الحث على الاقتداء بالرموز والشخصيات الدينية التي ترتضيها الجماعة كمرجعية فكرية. **والثانية آلية الكف**: من خلال تدريب العضو الجديد على الكف عن الاطلاع على أي معرفة دينية خارج المعرفة المعتمَدة داخل الجماعة، **والثالثة آلية التدعيم**: عبر منح العضو الجديد دعماً نفسياً ومادياً لتعزيز ثقته بنفسه، وقناعته بالانتماء إلى الجماعة، ويزداد هذا الدعم كلما أبدى العضو درجة عالية من الانتماء. **والرابعة آلية الإبدال**: وتعني توجيه اهتمام الأعضاء إلى موضوع آخر في حال برز موضوع يمكن أن يؤثر في توازن الجماعة أو يصيبها بالخلل، **والخامسة آلية التوحد**: من خلال ترسيخ التلازم اللاشعوري بين الأمن الوجودي للعضو، والأمن الوجودي للتنظيم[32]. وإضافة إلى ما سبق، فإن الجماعات المتطرفة تستهدف في عملية تجنيد أو ضم أتباعها الشباب وصغار السن؛ لأنهم يكونون أكثر استعداداً للتأثر بأفكارها[33]، وتركز على المدارس والجامعات، وتستخدم أسلوب التدرج في النفاذ إلى فكر الشباب، إضافة إلى العمل على إشباع رغبة الأعضاء، وخاصة الشباب، في المال أو السلطة أو حتى الزواج، واللجوء إلى الأساليب الملتوية في ضم الأتباع من خلال عدم مصارحة الشباب في البداية بحقيقة ما تريده منهم، وتغطية هذا الهدف بأمور أخرى حتى يجد الشاب نفسه وقد انغمس في الجماعة، وأصبح عضواً فيها[34].

(32) أحمد موسى بدوي، مرجع سابق.

(33) إسماعيل سراج الدين، مرجع سابق، ص. 99.

(34) انظر في ذلك بالتفصيل: حامد طاهر، ظاهرة التطرف الديني.. التشخيص والحل (القاهرة: المكتبة الأكاديمية، 2005)، ص.33ـ37.

وتقدم الجماعات المتطرفة كذلك الحوافز المالية لجذب المزيد من الأتباع إليها؛ وتركز في ذلك على المناطق الفقيرة والمهمَّشة[35]. ولعل أخطر آلية من الآليات التي تستخدمها الجماعات المتطرفة أو الإرهابية في تجنيد عناصرها هي **آلية الدين**؛

(35) ذياب موسى بداينة، التنمية البشرية والإرهاب في الوطن العربي (الرياض: جامعة نايف العربية للعلوم الامنية، 2010)، ص. 209.

بالنظر إلى ما له من تأثير كبير في المجتمعات العربية والإسلامية، ولذلك تقدم هذه الجماعات نفسها بصفتها مدافعة عن الدين في مواجهة الهجمات ضده، وأنها تعمل على إعادة الأمجاد الإسلامية من خلال تأسيس الخلافة؛ والهدف هو دغدغة مشاعر العامة والتأثير فيهم من خلال شعارات دينية كبيرة وبراقة، ولكنها في الوقت نفسه فارغة من المضمون؛ ما يجسد مقولة الفيلسوف العربي المسلم أبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد «إذا أردت أن تتحكم في جاهل؛ فعليك أن تغلِّف كل باطل بغلاف ديني»[36]. كما تعمل هذه الجماعات على احتكار الدين والحديث باسمه، وتقدم نفسها بصفتها وكيلاً لله في الأرض، على الرغم من أن القرآن الكريم لم يجعل العلاقة بينه وبين عباده من خلال وسيط، وليس هناك كهنوت في الإسلام[37].

ولعل جماعة الإخوان المسلمين، بصفتها الأصل الذي خرجت كل جماعات التطرف منه، تمثل نموذجاً مهماً لدراسة آليات الجماعات المتطرفة في تجنيد أتباعها وعناصرها، من خلال استخدام الدين من ناحية، والأدوات الاقتصادية والاجتماعية من ناحية أخرى؛ حيث عملت الجماعة، في الدول التي تواجدت فيها، على مدى سنوات طويلة، على أن تقدم نفسها بديلاً للحكومة في تقديم الخدمات الاجتماعية والصحية والتعليمية إلى المناطق الفقيرة والمهمشة، خاصة في الريف والعشوائيات، وأنشأت في سبيل ذلك الكثير من الهيئات والمؤسسات الصحية والتعليمية والاقتصادية التي كانت بمنزلة الستار لتنفيذ أهدافها السياسية، هذا إضافة إلى رفعها شعار «الإسلام هو الحل» لجذب الجماهير إليها، وإقناعها بأن حلول كل المشكلات التي تواجهها تكمن في الدين، ووضع نفسها في دور «الضحية» من خلال اللعب على عامل «المظلومية» لجذب التعاطف الشعبي معها[38]. وتستخدم التنظيمات المتطرفة وسائل التواصل الاجتماعي، وتستفيد من ثورة الاتصالات الحديثة في تجنيد عناصرها، حيث تشير الدراسات إلى أن نحو 80% ممن انتسبوا إلى تنظيم «داعش» قد تم تجنيدهم من خلال وسائل التواصل الاجتماعي[39].

(36) جمال سند السويدي، السراب (أبوظبي، مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، 2015)، ص.19.

(37) انظر بالتفصيل حول سعي الجماعات المتطرفة إلى احتكار الدين واستغلاله لمصالحها الخاصة: جمال سند السويدي، السراب، مرجع سابق، ص ص. 27ـ120.

(38) يمكن الاطلاع بالتفصيل حول جماعة الإخوان المسلمين وآليات عملها في: المرجع السابق، ص.259ـ364.

(39) غادة نصار، الإرهاب والجريمة الإلكترونية (القاهرة: العربي للطبع والنشر، 2017)، ص. 91.

ثالثاً: أسباب التطرف الديني

لا يمكن تفسير التطرف الديني بسبب واحد، وإنما هناك الكثير من الأسباب المركَّبة التي تقف وراء هذه الظاهرة، ويمكن الإشارة إلى أهمها في الآتي:

1 ـ الأسباب الدينية وأهمها: التأويل الخاطئ للدين، وعدم المعرفة الصحيحة به، والفهم الظاهري للنصوص، والافتقاد لمرجعيات دينية موثوق بها يمكن أن

يقتنع بها الشباب ويتأثروا بما تقدمه، وجمود الدراسات الفقهية وعدم قدرتها على مواكبة تطورات العصر، واستنادها إلى الاجتهادات القديمة التي تمت في عصور مختلفة[40]، واعتناق فكر ديني متطرف يكفِّر المجتمع أو الحاكم، استناداً إلى تفسيرات معينة للنصوص الدينية، خاصة فيما يتعلق بفكرتَي الحاكمية والجهاد وغيرهما[41]. ويسوِّغ هذا الفكر استخدام العنف لتغيير ما يراه صاحبه مخالفاً للدين من وجهة نظره؛ لأنه يقوم على الاقتناع بأن غير المنتمين إلى دين معين أو مذهب معين كفَرَة، ومن ثم وجب قتالهم، واستحلال دمائهم، استناداً إلى تفسيرات معينة لمفهوم «الجهاد» انطلاقاً من ثنائية: دار الإسلام ودار الحرب، أو دار الإسلام ودار الكفر[42]، التي يعدها المتطرفون الإسلاميون أساس العلاقة بين المسلمين وغيرهم. ويضاف إلى ما سبق تقاعس أهل العلم عن أداء واجبهم في توجيه الشباب بالمعاني الصحيحة للدين، واتباع المتشابهات في القرآن الكريم[43]، وفي ذلك قال الله عز وجل: «هو الذي أنزل عليكَ الكتاب منه آياتٌ محكماتٌ هن أم الكتاب، وأخَرُ متشابهاتٌ، فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاءَ الفتنة وابتغاءَ تأويله»[44]. وبشكل عام يلخص أحد الباحثين الأسباب الدينية للتطرف في جانبين: **الجانب الأول** هو الجهل بالدين ويشمل (الجهل بالكتاب والسنة، والمقاصد، وأقوال العلماء، والتاريخ والسنن الكونية، والواقع وظروفه، واللغة العربية وأساليبها، إضافة إلى الجهل بمآخذ الأدلة وأدوات الاستنباط)، **والجانب الثاني** هو الخلل في المنهج، ويشمل «المنهج الحرفي في فهم النصوص، وانعدام النظرة الشمولية، واتباع المتشابه، واتباع الهوى، والاجتهاد بدون أهلية، والتلقي المباشر من النص»[45].

2 ـ الأسباب الاجتماعية، ويتمثل أهمها في الآتي: الخلل في التنشئة الاجتماعية، وعدم قيام المؤسسات المعنية بذلك، وفي مقدمتها البيت ومؤسسات التعليم، بدورها المنوط بها في هذا الشأن، والإحباط الناتج عن المشكلات الاجتماعية والأسرية، وتأخر سن الزواج، وعدم وجود مجالات مناسبة يمكن من خلالها امتصاص طاقات الشباب، والأزمة التي يعانيها التعليم في الكثير من الدول العربية والإسلامية، وعدم قدرته على تعزيز الفكر النقدي لدى الطلبة لمصلحة التلقين والحفظ، واختلال القيم الاجتماعية بسبب الانفتاح على الخارج وما ترتب عليه من قيم وأفكار وافدة[46]، إضافة إلى عامل القرابة أو الصداقة؛ حيث تشير الدراسات إلى أن القرابة أو الصداقة أو الزمالة مع أشخاص متطرفين أو إرهابيين تفسر اتجاه بعض الأشخاص إلى الانخراط في الجماعات الإرهابية[47]، وبحث بعض الأشخاص عن معنى لحياتهم،

(40) أحمد مبارك سالم، الانحراف والتطرف الفكري.. تعريفه، أسبابه ودوافعه، آثاره وأبعاده، وسبل القضاء عليه، على الرابط التالي: https://goo.gl/AYG9m8
وانظر كذلك: عبدالله بن عبدالعزيز اليوسف، مرجع سابق، ص ص.83ـ88.

(41) حول علاقة فكرة الحاكمية بالإرهاب انظر: سفير أحمد الجراد، مرجع سابق، ص ص.196ـ208.

(42) حول ثنائية دار الإسلام ودار الحرب أو الكفر انظر بالتفصيل: عابد بن محمد سفياني، العولمة وخصائص دار الإسلام ودار الكفر، (الرياض: دار الفضيلة للنشر والتوزيع، 2000). وانظر أيضاً: محيي الدين محمد محمود قاسم، التقسيم الإسلامي للمعمورة.. دراسة في نشأة وتطور الجماعة الدولية في التنظيم الدولي الحديث (فرجينيا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1996).

(43) محمد حسين علي محاسنة، مرجع سابق.

(44) سورة آل عمران، الآية 7.

(45) سفير أحمد الجراد، مرجع سابق، ص. 209.

(46) عبدالله بن عبدالعزيز اليوسف، مرجع سابق، ص ص.89ـ92. وانظر كذلك: محمد سيف خلفان بن حريمل الشامسي، مرجع سابق، ص ص.46ـ47.

(47) خالد سعيد وبثينة صلاح، «التهميش والحرمان أقوى دوافع التطرف»، على الرابط التالي: https://www.scientificamerican.com/arabic/articles/news/marginalization_and_deprivation_are_the_strongest_/drivers_of_extremism

وعن هدف أسمى يبذلون أرواحهم من أجله، في ظل أزمة الهوية التي يعيشها بعض الشباب في العالم[48].

3 ـ الأسباب الاقتصادية: ويتمثل أهمها في: البطالة التي تجعل الشباب عرضة للفكر المتطرف، والفقر الذي تعانيه بعض المجتمعات، ويجعلها بيئة خصبة لنشر الأفكار المتطرفة والمتشددة، وغياب العدالة الاقتصادية في المجتمع، والفساد والاحتكار والاستغلال، إضافة إلى فشل أو تعثر التجارب التنموية في كثير من دول العالم؛ الأمر الذي تسبب في تخلف هذه الدول وإضعاف اقتصاداتها، وما سببته العولمة من اتساع الفجوة بين الدول الغنية والفقيرة، وفشل المنظمات الدولية المعنية، وفي مقدمتها منظمة الأمم المتحدة، في معالجة المشكلات الاقتصادية للدول والمجتمعات الفقيرة[49]. ومن المعروف أن الأوضاع الاقتصادية السيئة تهيئ تربة خصبة لإثارة الكراهية ضد الدولة، وتشجيع الطبقات الدنيا على الخروج ضدها، والقيام بأعمال الإرهاب ضد النظام العام، ولاسيما إذا اقترنت الأوضاع الاقتصادية السيئة بتعرُّض هذه الطبقات للتهميش أو التمييز.

4 ـ الأسباب السياسية: ويتمثل أهمها في: التهميش السياسي أو الطائفي أو العرقي لإحدى فئات المجتمع، الذي يدفع أفراد هذه الفئة إلى استخدام العنف في مواجهة الدولة، وعدم إعطاء هامش من الحرية لفئات المجتمع للتعبير عن آرائها ومواقفها، وانتهاك حقوق الإنسان، فوفقاً لـ«مؤشر الإرهاب العالمي» لعام 2016، فإن 93% من العمليات الإرهابية في العالم خلال الفترة ما بين عامي 1989 و2014 وقعت في دول يُمارَس فيها التعذيب والاضطهاد والسجن من دون محاكمة[50]، إضافة إلى رغبة بعض الجماعات العرقية أو الدينية أو السياسية في الخروج من نطاق سيطرة حكومة ما، والانفصال عنها، وإنشاء دولة ذات حكم ذاتي أو الاستقلال الكامل، وممارسة الضغوط الخارجية على دولة ما، وتبنِّي معايير مزدوجة في التعامل مع قضايا مجتمع ما (كالقضية الفلسطينية)، والتدخل الخارجي في الشؤون الداخلية لبعض الدول عبر إثارة النزاعات والانقسامات الداخلية، وإنشاء التنظيمات المسلحة المدعومة من هذه الدول (حالة إيران وأذرعها الإقليمية)[51].

5 ـ الأسباب النفسية: ثمَّة خلاف كبير بين الدارسين حول الإجابة عن السؤال التالي: هل التطرف المفضي إلى الإرهاب هو مرض نفسي لدى البعض؟[52] فهناك من ينفي أن يكون الاتجاه إلى التطرف مرضاً نفسياً، في حين يؤكد البعض الآخر أن ثمة أسباباً نفسية متعددة للتطرف، وأن الشخص المتطرف لديه سمات

(48) انظر حول أزمة الهوية وعلاقتها بالتطرف والإرهاب: سهلي بهية، «أزمة الهوية وعلاقتها بالتطرف والإرهاب»، أوراق نماء، رقم 169، (الرياض، مركز نماء للبحوث والدراسات)، على الرابط التالي:
https://drive.google.com/file/d/0B_azBC_1KJD 2b G53X0 dwaj BjOUE/view

(49) انظر في ذلك: محمد سيف خلفان بن حريمل الشامسي، مرجع سابق، ص ص.51ـ53. وانظر كذلك: أسماء بنت عبدالعزيز الحسين، «أسباب الإرهاب والعنف والتطرف.. دراسة تحليلية»، المملكة العربية السعودية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 2004، دراسة مقدمة إلى: المؤتمر العالمي عن موقف الإسلام من الإرهاب، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، خلال الفترة من 1ـ3/3/ 1425 هجرية، على الرابط التالي:
http://www.amnfkri.com/articles.php?action=show&id=1402

(50) مدحت نافع، «مؤشر الإرهاب وخطوط المواجهة»، صحيفة الشروق، القاهرة، 23 أكتوبر 2017.

(51) ماثيو ليفيت، «دعم إيران للإرهاب في الشرق الأوسط»، شهادة أمام الكونجرس، تحليل السياسات،(واشنطن، معهد واشنطن لسياسات الشرق الأدنى، 25 يوليو 2012) .

(52) انظر بالتفصيل حول أبعاد هذا الخلاف: محمد يسري إبراهيم دعبس، الإرهاب والشباب: رؤية في انثروبولوجيا الجريمة (القاهرة: الملتقى المصري للإبداع والتنمية، 2002)، وانظر أيضا: ماجد موريس إبراهيم، الإرهاب... الظاهرة وأبعادها النفسية، (بيروت: دار الفارابي للنشر والتوزيع، 2003).

نفسية تجعله مستعداً لتبني الأفكار المتطرفة[53]. وتتبنى هذه الدراسة رؤية تقوم على أن المتطرف ليس مريضاً نفسياً بالمعنى الحرفي أو العلمي الدقيق للكلمة، ولكن هناك الكثير من العوامل النفسية التي يمكن أن تقف وراء التطرف لعل أهمها: الإحباط واليأس الناتجان عن الفشل في تحقيق النجاح في الحياة، ما قد يخلق شخصاً عدائياً تجاه المجتمع، ولديه الاستعداد لممارسة العنف ضده؛ لأنه في هذه الحالة يحمّل هذا المجتمع وأنظمته وقوانينه ومؤسساته ومظاهر الفساد فيه المسؤولية عن فشله، ولا يرى لنفسه مصلحة في الحفاظ على استقراره وسلامته؛ لأنه يشعر بالاغتراب عنه، وعدم القدرة على الاندماج فيه. وذلك إضافة إلى عقدة الاضطهاد أو المظلومية، التي تسيطر على شخص أو جماعة أو أقلية أو جنس معين في المجتمع المحلي أو العالمي؛ وهذه العقدة تدفع هذا الشخص أو الجماعة إلى الاعتقاد أنه ليس أمامها سوى العنف للحصول على حقوقها. وكذلك جنون العظمة (تضخم الذات) الذي يسيطر على بعض الأفراد، ويدفعهم إلى اعتقاد امتلاكهم قدرات غير عادية يمكنها تغيير العالم من خلال الدم والعنف. ويمكن أن يؤدي احتقار الذات، لأسباب مختلفة، إلى خلق شخص عنيف وعدواني ومستعد للانخراط في صفوف الجماعات الإرهابية؛ للشعور بالأهمية، وتعويض الإحساس بالنقص أو الدونية، وأخيراً الولع بالمغامرة[54].

6 ـ أسباب تتعلق بطبيعة التخصص العلمي: والسؤال هنا هو: هل التخصص العلمي له علاقة ما بتطرف الشخص أو عدم تطرفه؟ وفي هذا السياق لاحظت دراسة متخصصة أن ثمة علاقة بين دراسة الهندسة واتجاه الشخص إلى التطرف؛ مشيرة إلى أن ثمانية من مُنفذي هجمات 11 سبتمبر 2001 في الولايات المتحدة الأمريكية كانوا مهندسين، وأن غالبية المتطرفين خريجي الجامعات الغربية كانوا من خريجي كليات الهندسة[55]، وإضافة إلى ذلك؛ فإن غالبية زعماء جماعة الإخوان المسلمين والجماعات الإسلامية المصرية الأخرى من خريجي كليات الطب والهندسة والعلوم[56]. والسبب الأساسي الذي يتم طرحه لتفسير قابلية خريجي الهندسة للتطرف الديني هو أن خريجي الكليات التطبيقية بشكل عام، سواء الهندسة أو الطب أو العلوم أو غيرها، يدرسون موادَّ علمية جافة لا تشبع الجانب الديني والروحي عندهم، ومن ثم يكونون أكثر استعداداً للانجذاب إلى الجماعات الدينية المتطرفة التي تقدم إليهم هذا الجانب الديني الروحي؛ لكن بصبغة متشددة[57]. وفضلاً عن ذلك؛ فإن دراسة العلوم التطبيقية بشكل عام، ومنها الهندسة، على عكس دراسة العلوم النظرية، تعتمد على الصواب والخطأ،

(53) انظر في هذا الجدل بالتفصيل: شاكر عبدالحميد، مرجع سابق، ص ص.14ـ17. ويشير الباحثون الذين يتبنون رؤية مفادها أن التطرف يستند إلى أسباب نفسية لدى الشخص المتطرف إلى الكثير من السمات النفسية لهذا الشخص أهمها: العزلة والدونية أو الاستعلاء والنظرة التآمرية والقسوة والطاعة العمياء والارتيابية والإسقاط والفاشية والعدوانية وغيرها، انظر في ذلك: سفير أحمد الجراد، مرجع سابق، ص. 189. وثمة مقياس يطلق عليه اسم: مقياس الفاشية، تم تطويره من قبل بعض الباحثين للتعرف إلى السمات النفسية المرضية التي تجعل بعض الأشخاص مؤيدين للتطرف الفاشي، انظر في ذلك بالتفصيل: ديفيد باتريك هوتون، علم النفس السياسي.. أوضاع وأفراد وحالات، (عمان: دار المنهل ناشرون، 2015)، ص. 83.

(54) انظر بالتفصيل: أسماء بنت عبدالعزيز الحسين، مرجع سابق.
وانظر كذلك: محمد سيف خلفان بن حريمل الشامسي، مرجع سابق، ص ص. 56ـ57.

(55) انظر:
Diego Gambetta and Steffen Her_tog, Engineers of Jihad: the curi_ous connection between violent extremism and education, (USA: Princeton University Press, March 2016).

(56) سعيد قدري، «التحول نحو العنف يعزز حاجة الجماعات المتطرفة للعقول العلمية»، العرب، لندن، 31 يناير 2016.

(57) عمار علي حسن، انتحار الإخوان (القاهرة: نهضة مصر، 2015)، ص. 238.

والأبيض والأسود، وهذا يخلق عقلية غير نقدية، وليس لديها قدرة على الجدل والنقاش، وهذا يتناسب مع ما تريده الجماعات المتطرفة[58]. ولعل شهادة ناجح إبراهيم، القيادي السابق في الجماعة الإسلامية في مصر، والذي تخرَّج من كلية الطب، يمكنها أن تضيء بعض النقاط المهمة في هذه القضية، حيث أكد، استناداً إلى لقاء صحفي معه، «أن أغلب عناصر الجماعة الإسلامية وجماعة الإخوان فترة الستينيات وما بعدها من خريجي كليات الطب والهندسة والطب البيطري والصيدلة، ومنهم عاصم عبدالماجد، القيادي بالجماعة الإسلامية (خريج هندسة)، ومحمد مرسي، الرئيس المصري الأسبق (خريج هندسة)، ومحمد بديع، مرشد الإخوان (خريج طب بيطري)، وأبوالعلا ماضي، أحد أبناء الحركة الإسلامية، رئيس حزب الوسط المنشق عن جماعة الإخوان (خريج هندسة)، ناهيك عن قيادات جماعة الإخوان المسلمين مثل: محمد البلتاجي وسعد الكتاتني وغيرهما، من خريجي الكليات ذات التخصص العلمي»[59]، وأضاف أنه بعد خروجه من السجن «سعى لشغل وقته بما يفيد؛ فدرس الآداب والحقوق وهما كليتان نظريتان، ما عزز التوجه النقدي في فكره، وجعله يعيد النظر في مواقف وأفكار الجماعة التي كان مرشدها الروحي عمر عبدالرحمن المسجون في أميركا»[60]، وأكد «أن دراسة العلوم النظرية أفادته جداً في إعادة تقييم الأفكار التي آمن بها لسنوات طويلة، وقضى بسببها سنوات شبابه داخل السجن، واكتشف أن كل ما كان يقال لهم لم يكن صحيحاً بالضرورة؛ ما دفعه لاحقاً للمساهمة في طرح مبادرة وقف العنف عام 1997»[61].

(58) انظر:
Paul Vallely, "Are scientists easy prey for jihadism?", The Gurdian, 3 December 2015.

(59) سعيد قدري، مرجع سابق.

(60) المرجع السابق.

(61) المرجع السابق.

رابعاً: العلاقة بين التطرف الديني والإرهاب

الإرهاب لغةً مصدر للفعل أرهب يرهب، ومعناه التخويف، ومنه قوله تعالى: «ترهبون به عدوَّ الله وعدوَّكم»[62]، وقوله: «سحروا أعينَ الناس واسترهبوهم»[63]. ومصطلح الإرهاب Terrorisme، مشتق من المفردة الفرنسية Terreur التي تعني الذعر، وأصلها اللاتيني هو Terrere بمعنى: جعله يرتعد ويرتجف[64].

أما الإرهاب اصطلاحاً فهو «التهديد باستخدام العنف، أو استخدامه لأغراض سياسية بواسطة الأفراد أو الجماعات»[65]، وتعرِّفه موسوعة السياسة بأنه «استخدام العنف غير المقنن، أو التهديد باستخدامه بمختلف أشكاله وصوره، كالاغتيال، أو التشويه، أو التعذيب، أو التخريب أو النسف، وذلك بغية تحقيق هدف سياسي معين...»[66].

(62) سورة الأنفال، الآية 60.

(63) سورة الأعراف، الآية 116.

(64) رابطة العالم الإسلامي، الإرهاب، ص.1، على الرابط التالي: http://www.themwl.org/web/sites/default/files/erhab_file.pdf

(65) إسماعيل عبدالفتاح عبدالكافي، الإرهاب ومحاربته في العالم المعاصر، (القاهرة: كتب عربية، 2006)، ص. 17.

(66) عبدالوهاب الكيالي وآخرون، موسوعة السياسة ،(بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1985)، ص. 153.

وبالنظر إلى وجود تعريفات كثيرة للإرهاب في المصادر المختلفة تثير الخلاف والجدل على المستويات السياسية والقانونية والبحثية؛ فإن الدراسة سوف تتبنى التعريف الذي وضعته الاتفاقية العربية لمكافحة الإرهاب عام 1998، ويشير إلى أن الإرهاب هو «كل فعل من أفعال العنف أو التهديد به، أياً كانت بواعثه أو أغراضه، يقع تنفيذاً لمشروع إجرامي فردي أو جماعي، ويهدف إلى إلقاء الرعب بين الناس، أو ترويعهم بإيذائهم، أو تعريض حياتهم أو حريتهم أو أمنهم للخطر، أو إلحاق الضرر بالبيئة، أو بأحد المرافق أو الأملاك العامة أو الخاصة، أو احتلالها، أو الاستيلاء عليها، أو تعريض أحد الموارد الوطنية للخطر»[67]. كما تنص هذه الاتفاقية على أنه «لا تعد جريمة حالات الكفاح بمختلف الوسائل، بما في ذلك الكفاح المسلح ضد الاحتلال الأجنبي، والعدوان من أجل التحرر وتقرير المصير وفقاً لمبادئ القانون الدولي، ولا يعد من حالات الكفاح المسلح من أجل التحرير كل عمل يمس بالوحدة الترابية لأي من الدول العربية»[68]. إضافة إلى ذلك؛ فقد عرَّفت رابطة العالم الإسلامي الإرهاب في الدورة السادسة عشرة لمجمعها الفقهي، التي عُقِدت خلال الفترة من 21 ـ 22 شوال 1422هـ (5 ـ 6 يناير 2002) بأنه «العدوان الذي يمارسه أفراد، أو جماعات، أو دول، بغياً على الإنسان: دينه، ودمه، وعقله، وماله، وعرضه، ويشمل صنوف التخويف والأذى والتهديد والقتل بغير حق، وما يتصل بصور الحرابة، وإخافة السبيل وقطع الطريق، وكل فعل من أفعال العنف أو التهديد يقع تنفيذاً لمشروع إجرامي فردي أو جماعي، ويهدف إلى إلقاء الرعب بين الناس أو ترويعهم؛ بإيذائهم، أو تعريض حياتهم أو حريتهم أو أمنهم أو أحوالهم للخطر، ومن صنوفه إلحاق الضرر بالبيئة أو بأحد المرافق أو الأملاك العامة أو الخاصة، أو تعريض أحد الموارد الوطنية أو الطبيعية للخطر»[69].

وثمة خلاف بين الباحثين والمتخصصين فيما يتعلق بالعلاقة بين التطرف الديني والإرهاب، فهناك من يرى أن «الإرهاب هو نتاج للتطرف الفكري الذي يُترجَم إلى أفعال سلوكية عنيفة»[70]، لأن المتطرف الديني يعتقد أن المجتمع الذي يعيش فيه هو مجتمع كافر، ومن ثم يسعى إلى هدمه من خلال استخدام القوة؛ استناداً إلى مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما يفهمه[71]، ولأن التطرف «يهيئ المناخ الذي يجعل يقين الشخص أمراً مطلقا لا يُناقش، ويزيل من نفسه البغض الإنساني الفطري للقتل»[72]. لكنَّ هناك رأياً آخر يرى أن التطرف لا يقود بالضرورة إلى الإرهاب، وأن هناك الكثير من أوجه الاختلاف بين التطرف والإرهاب، حيث إن التطرف يرتبط بالفكر، والإرهاب يرتبط بالفعل، كما أن التطرف لا يعاقب عليه

(67) انظر نص الاتفاقية العربية لمكافحة الإرهاب على الموقع الرسمي لجامعة الدول العربية، على الرابط التالي: https://goo.gl/BZ1pJP

(68) عبدالله بن عبدالمحسن التركي، «موقف الإسلام من الإرهاب وجهود المملكة العربية السعودية في معالجته»، رابطة العالم الإسلامي، على الرابط التالي: https://d1.islamhouse.com/data/ar/ih_books/single3/ar_islam_position.pdf

(69) رابطة العالم الإسلامي، على الرابط التالي: http://www.themwl.org/peace/%D8%A7%D9%84%D8%A8%D9%8A%D8%A7%D9%86_%D8%A7%D9%84%D8%AE%D8%AA%D8%A7%D9%85%D9%8A_%D9%84%D9%84%D9%85%D8%A4%D8%AA%D9%85%D8%B1

(70) عبدالله بن عبدالعزيز اليوسف، مرجع سابق، ص. 11.

(71) المرجع السابق، ص. 22.

(72) إسماعيل سراج الدين، مرجع سابق، ص. 101.

القانون، ولا يُعَدُّ جريمة، بينما الإرهاب جريمة يعاقب عليها القانون، وفي الوقت الذي يكون فيه علاج التطرف بالفكر والحوار، فإن الإرهاب يخرج عن حدود الفكر إلى نطاق الجريمة؛ ما يستلزم تغيير مدخل المعاملة وأسلوبها[73]. وتشير دراسات متخصصة إلى أن «قرار القيام بعمل إرهابي يلزمه دوافع مختلفة تماماً عن دوافع رأي متطرف، والنتائج المترتبة على كل منهما تختلف اختلافاً كبيراً»[74]. وقد طور الباحثان الأمريكيان كلارك مكولي وصوفيا موسكالينكو، في مقال نشراه بمجلة «**أمريكان سيكولوجيست**» التي تصدرها الجمعية الأمريكية لعلم النفس، في عددها الصادر في إبريل 2017، بعنوان «**فهم التطرف السياسي: نموذج الهرمين**»، نموذجاً لهرمين منفصلين للتفرقة بين التطرف والإرهاب، **الأول هو هرم تطرف الرأي، والثاني هو هرم تطرف الفعل**، ويشير إلى الإرهاب، حيث يشمل هرم تطرف الرأي في قاعدته **المحايدين**، وهم الذين لا يتخذون موقفاً من قضية معينة بالتأييد أو الرفض، ويأتي بعدهم **المتعاطفون** الذين يؤمنون بقضية ما؛ إلا أنهم لا يبررون اللجوء إلى العنف في دعمها، وبعدهم يأتي الذين يتعاطفون مع قضية ويبررون العنف للدفاع عنها. أما هرم تطرف الفعل؛ فيشمل في قاعدته **الخاملين** الذين لا يقومون بأي فعل لمصلحة قضية أو جماعة أو حزب، ومن بعدهم يأتي **النشطاء** الذين يمارسون أنشطة قانونية وسياسية لمناصرة قضية أو جماعة معينة، وبعدهم يأتي **الراديكاليون** الذين يمارسون أنشطة غير قانونية من أجل قضية أو جماعة أو حزب، وفي قمة الهرم يأتي **الإرهابيون** الذين يقومون بأعمال عنف تستهدف المدنيين[75].

(73) حنا عيسى، «التطرف يرتبط بالفكر والإرهاب يرتبط بالفعل»، أمد للإعلام، 30 سبتمبر 2015، على الرابط التالي:
https://www.amad.ps/ar/Details/91283

(74) انظر:
McCauley, Clark, Moskalenko, Sophia, "Understanding political radicalization: The two-pyramids model", American Psychologist, Vol 72(3), Apr 2017.

(75) انظر: Ibid .

والواقع أن هذا الخلاف ربما ينطوي على مبالغة كبيرة؛ فالتطرف الديني أو غيره ليس عملاً إجرامياً في ذاته يعاقب عليه القانون، وليس بالضرورة أن يؤدي إلى الإرهاب، لكن في الوقت نفسه؛ فإن التطرف، خاصة الديني، يمثل بيئة خصبة لنمو التوجهات العنيفة؛ لأن المتطرف دينياً يتصرف استناداً إلى أفكار دينية يعتقد أنها هي الصحيحة، وأنها هي التي سوف تقوده إلى الجنة، وهذا ما تستغله الجماعات الإرهابية في إقناع المتطرفين دينياً بالانضمام إليها. وإذا اعتبرنا أن العمل الإرهابي له عناصر عدة؛ فإن أحد أهم هذه العناصر هو الدافع إلى ارتكاب هذا العمل الإرهابي، وهذا الدافع يمكن أن يكون دينياً (أي ناتجاً عن التطرف الديني)، أو سياسياً، أو اجتماعياً، أو نفسياً، أو غيرها، إضافة إلى العناصر الأخرى المتمثلة في الهدف السياسي، والدعم، والمنفِّذ.

شكل رقم (1) : عناصـر العمـل الإرهـابـي

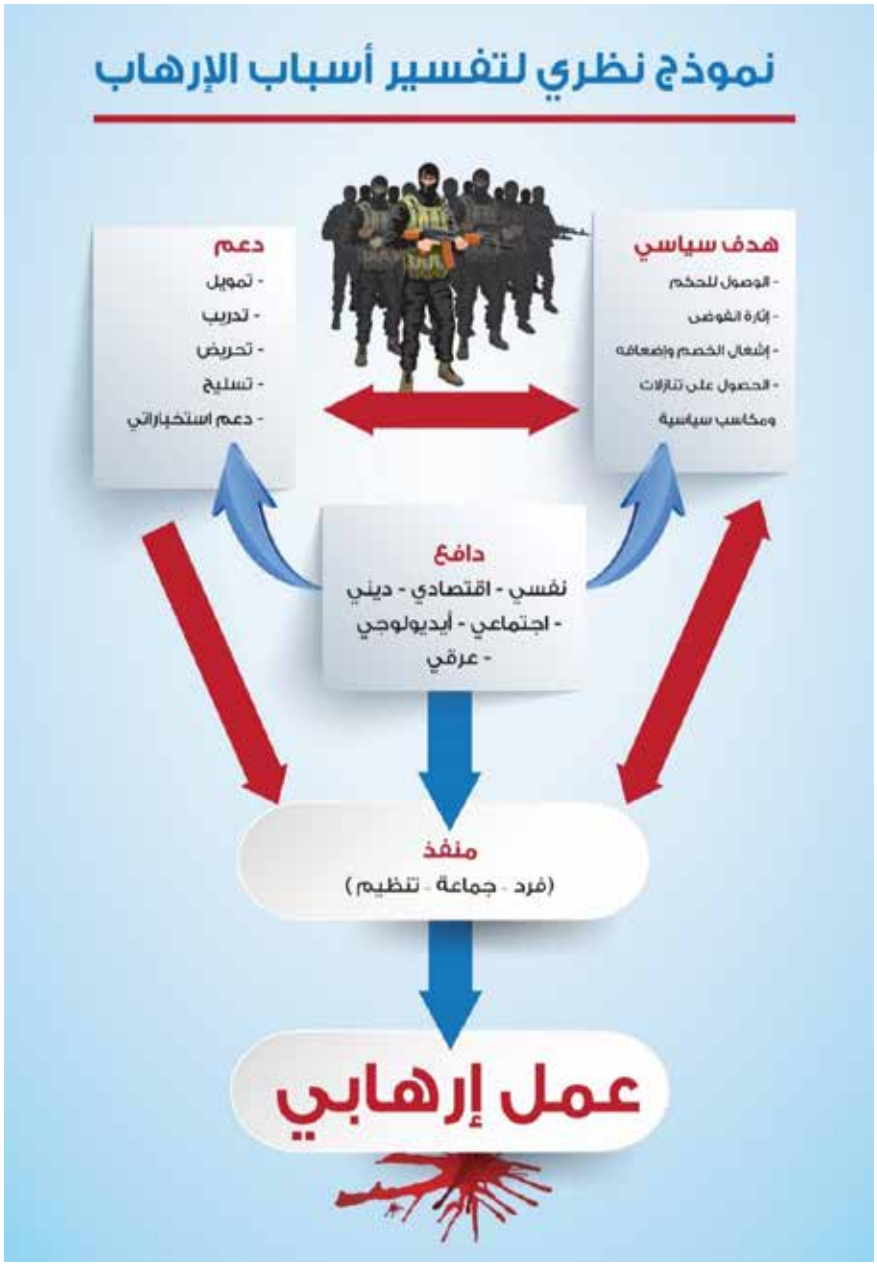

خامساً: موقف الإسلام من التطرف الديني:

يبرِّر المتطرفون والإرهابيون توجهاتهم وممارساتهم الإرهابية بمبررات دينية من القرآن الكريم والسُّنة النبوية الشريفة، والفقه والتاريخ الإسلاميين، من خلال التقول على الله، والتأويل المنحرف للآيات والأحاديث النبوية والحوادث التاريخية، بشكل يبعدها عن سياقها الحقيقي ومقاصدها الشرعية. ومن هنا تأتي أهمية بيان

موقف الإسلام من التطرف الديني والإرهاب، بصفته دين الوسطية والسماحة، في حين يقدمه المتطرفون والإرهابيون إلى العالم على غير حقيقته.

1 ـ موقف القرآن الكريم من التطرف:

يمتلئ القرآن الكريم بالآيات التي تؤكد الوسطية، وتنهى عن التطرف والإرهاب والغلو والبغي؛ حيث يقول سبحانه وتعالى: «قل يا أهلَ الكتاب لا تغْلُوا في دينكم غير الحق»[76]، ويدعو النبي صلى الله عليه وسلم إلى البعد عن الطغيان قائلاً: «فاستقِم كما أمِرت ومن تابَ معك، ولا تطغوا إنه بما تعملون بصير»[77]، ويؤكد أنه أرسله رحمة للعالمين «وما أرسلناك إلا رحمةً للعالمين»[78]، وينهى القرآن الكريم بشكل حاسم عن البغي، والإرهاب أبشع صور البغي، حيث يقول «إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي»[79]، و»قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق»[80]. وينهى الله في كثير من مواقع القرآن عن الفساد في الأرض «وأحسِن كما أحسن الله إليك، ولا تبغِ الفساد في الأرض»[81]، «ولا تعثوا في الأرض مفسدين»[82]، و»من قتل نفساً بغير نفس أو فسادٍ في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً»[83]، و»لا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها»[84]، ويضع حد الحرابة على المفسدين في الأرض «إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتَّلوا أو يصلَّبوا أو تقطَّع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو يُنفَوْا من الأرض»[85]. وعظَّم الله حرمة النفس البشرية، أيِّ نفس بصرف النظر عن الدين أو العرق أو الجنس، حيث قال: «من قتل نفساً بغير نفس أو فسادٍ في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً»[86]. ويحرِّم الاعتداء حيث يقول: «ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين»[87]. وأكد أن الله يريد بالناس اليسر، وليس العسر «يريد الله بكم اليسر، ولا يريد بكم العسر»[88].

(76) سورة المائدة، الآية 77.
(77) سورة هود، الآية 112.
(78) سورة الأنبياء، الآية 107.
(79) سورة النحل، الآية 90.
(80) سورة الأعراف، الآية 33.
(81) سورة القصص، الآية 77.
(82) سورة هود، الآية 85.
(83) سورة المائدة، الآية 32.
(84) سورة الأعراف، الآية 56.
(85) سورة المائدة، الآية 33.
(86) سورة المائدة، الآية 32.
(87) سورة البقرة، الآية 190.
(88) سورة البقرة، الآية 185.

لكن المتطرفين يلجؤون إلى بعض الآيات، ويعمدون إلى إخراجها عن سياقها، ومن ثم إعادة تأويلها بما يتفق مع أغراضهم، وينسون أو يتناسون العدد الكبير من الآيات القرآنية التي تحث بشكل واضح على الاعتدال والوسطية والتيسير وعدم الإفساد أو الغلو أو التعصب.

ويعود هذا النهي عن التطرف والغلو والإرهاب من قبل القرآن الكريم إلى أن التطرف خروج عن وسطية الإسلام، ويؤدي إلى الفتنة والفرقة داخل المجتمعات، ويتعارض مع تعاليم الإسلام التي تدعو إلى التيسير وعدم التشدد[89].

(89) محمد حسين علي محاسنة، مرجع سابق.

2 ـ موقف السنة النبوية من التطرف:

إضافة إلى القرآن الكريم؛ فإن السنة النبوية الشريفة تحضُّ على الاعتدال والوسطية والتيسير والابتعاد عن الغلو والتعصب، حيث يقول النبي صلى الله عليه وسلم «إن الله لم يبعثني متعنِّتاً، ولكن بعثني مصلحاً ميسراً»[90]، و«إن الله رضي لهذه الأمة اليسر، وكره لها العسر»[91]، وقال صلى الله عليه وسلم أيضاً «إنما أنا رحمة مهداة»[92]، وقال «لا يشير أحدكم لأخيه بالسلاح؛ فإنه لا يدري أحدكم لعل الشيطان ينزع في يده؛ فيقع في حفرة من النار»[93]، و«من أشار لأخيه بحديدة؛ فإن الملائكة تلعنه حتى يدعه، وإن كان أخاه لأبيه وأمه»[94]. وقال صلى الله عليه وسلم مؤكداً أن الدين يرفض التعنت والتشدد «إن الدين يسر، ولن يشاد الدينَ أحد إلا غلبه»[95].

(90) رواه البخاري.
(91) رواه البخاري.
(92) رواه مسلم.
(93) رواه البخاري ومسلم.
(94) رواه مسلم والترمذي.
(95) رواه البخاري ومسلم.

وممَّا سبق يتضح أن الإسلام في صورته النقية ضد التطرف والتشدد والغلو، ومع الاعتدال والوسطية والتيسير، لكن القوى المتطرفة تلجأ إلى تأويلات وتفسيرات منحرفة لتبرير ممارساتهاالدموية.

سادساً: التسامح.. الطريق نحو مواجهة التطرف الديني

ينطوي التسامح على الكثير من القيم النقيضة للتطرف بشكل عام، والتطرف الديني على وجه الخصوص؛ فإذا كان التطرف يحمل في طياته كل معاني الغلو والتعصب والجمود ورفض الآخر المخالف في الدين أو المذهب أو الثقافة أو العرق؛ فإن التسامح يقوم على الانفتاح وقبول الآخر أياً كان دينه أو مذهبه أو عرقه؛ ولذلك فإن تعزيز قيم التسامح في المجتمعات هو الطريق الفاعل لمواجهة التطرف، خاصة الديني منه.

أ ـ في معنى التسامح: التسامح في اللغة الإنجليزية «tolerance»، مكون من كلمتين لاتينيتين هما: tolere، وتعني يعاني أو يقاسي، وtolerantia، وتعني التساهل، ومن ثم يكون المعنى هو الاستعداد لتحمل وقبول الغير على الرغم من اختلافه في المعتقدات والعادات والثقافات[96]. وهناك مصطلح Toleration، ويشير إلى التسامح الديني بشكل خاص، أي قبول المعتقدات والآراء الدينية المخالفة[97]، والسبب في ذلك أن هذا المصطلح ظهر في أوروبا بين القرنين السابع عشر والثامن عشر للسيطرة على التداعيات السلبية للحروب والنزاعات الدينية والمذهبية التي شهدتها القارة[98].

(96) علي عباس مراد وفاتن محمد رزق، «التسامح في بعض الحضارات القديمة»، المجلة السياسية والدولية، العدد 22 .(بغداد، كلية العلوم السياسية، الجامعة المستنصرية، 2012) .

(97) أشرف عبدالوهاب، التراث والتغير الاجتماعي.. التسامح الاجتماعي بين التراث والتغير، (بدون مكان نشر، كتب عربية، 2006)، ص. 66.

(98) ماجد الغرباوي، التسامح ومنابع اللاتسامح.. فرص التعايش بين الأديان والثقافات، (بغداد: الحضارية للطباعة والنشر، بدون تاريخ نشر)، ص. 20.

وفي اللغة العربية يشير مفهوم التسامح إلى معاني الجود والكرم والتساهل، ويقال سمح إذا جاد وأعطى من كرم وسخاء[99]؛ ما يعني أن المدلول اللغوي للتسامح يختلف في اللغة العربية عنه في اللغة الإنجليزية؛ لأن اللغة العربية «لا تنطلق في دلالتها من مبدأ المساواة، الذي يعد شرطاً في الدلالة الحديثة للتسامح»[100]. ومن ثمَّ فإن الدراسة تتبنى المفهوم الحديث للتسامح الذي ينطلق من قاعدة المساواة بين الناس؛ ما يفتح المجال للقبول المتبادل بينهم، وتنطلق من المقولة التاريخية للزعيم الهندي الراحل المهاتما غاندي «يظن كل فرد أنه على حق في وجهة نظره، ولكن ليس من المستحيل أن يكون جميع الناس على خطأ. ومن هنا تنشأ ضرورة التسامح، وإذا نمَّينا في داخلنا التسامح تجاه التصورات الأخرى؛ فإننا نتوصل إلى فهم أصحَّ لتصورنا»[101]، والمقولة الحضارية الرائعة المنسوبة إلى الإمام الشافعي، رحمه الله، «رأيي صواب يحتمل الخطأ، ورأيكَ خطأ يحتمل الصواب»[102]، وتعريف الإعلان العالمي للتسامح الصادر عن اليونسكو في عام 1995 بأنه «الاحترام والقبول بتنوع واختلاف الثقافات العالمية، وهذا ليس مجرد واجب أخلاقي فحسب؛ بل له ضروراته السياسية والقانونية أيضاً»[103].

ويشير المعنى الاصطلاحي للتسامح إلى أنه «موقف إيجابي ومتفهم من العقائد والأفكار يسمح بتعايش الرؤى والاتجاهات المختلفة بعيداً عن الاحتراب والإقصاء، على أساس شرعية الآخر المختلف دينياً وسياسياً، وحرية التعبير عن آرائه وعقيدته»[104].

وبشكل عام يحدد أحد الباحثين أهم عناصر مفهوم التسامح في الآتي[105]:

- فكرة الخطأ والصواب، وتعني احتمال الخطأ والصواب للطرفين، وفق مبدأ نسبية المعرفة.
- فكرة الحوار كسبيل للوصول إلى حلول وسط للخلافات بدلاً من إضاعة الجهد في محاولة كل طرف إثبات خطأ الطرف الآخر.
- فكرة الاقتراب من الحقيقة كهدف أساسي للحوار بين المختلفين.
- فكرة عدم العصمة من الخطأ؛ لأن التعصب أو التطرف يقوم على الاعتقاد أن فكرة أو نظرية أو شخصاً صواب مطلق لا يصل إليه الخطأ على الرغم من أن الفيلسوف اليوناني القديم سقراط قال «كن حكيماً، واعرف نفسك، اعرف أنك لا تعرف»[106].

(99) شوقي أبوخليل، التسامح في الإسلام.. المبدأ والتطبيق (بيروت: دار الفكر المعاصر، 1993)، ص.39ـ40.

(100) المرجع السابق، ص ـ39 40.

(101) منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة، «التسامح في كلمات»، على الرابط التالي: http://unesdoc.unesco.org/images/0023/002326/232631a.pdf

(102) فيصل عبدالوهاب، بلورات من الحكمة: مقالات ودراسات في الثقافة والأدب والنقد ،(عمان: دار المنهل ناشرون، 2014)، ص. 14.

(103) يحيى محمود النجار وعطاف محمود أبوغالي، «دور التعليم العالي في تعزيز قيم التسامح من وجهة نظر الطلبة وأعضاء الهيئة التدريسية.. جامعة الأقصى نموذجاً»، مجلة جامعة الأقصى، العدد الأول، المجلد 21 ، (غزة:، عمادة الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة الأقصى، يناير 2017)، ص. 423.

(104) ماجد الغرباوي، مرجع سابق، ص. 20.

(105) عبدالحسين شعبان، «في مفهوم التسامح وإشكالاته»، الشبكة العربية للتسامح، على الرابط التالي: http://www.tasamuhnet.org/pdf/evpdf/1.%20The%20Concept%20of%20Tolerance%20and%20its%20Manifestations.pdf

(106) المرجع السابق.

وإضافة إلى ذلك؛ فإن التسامح يقوم على أسس عدة أهمها: المواطنة، والحرية، وسيادة القانون[107].

(107) انظر في هذه الأسس بالتفصيل: ماجد الغرباوي، مرجع سابق، ص ص.75ـ137.

وثمَّة أنواع مختلفة من التسامح؛ **فمن حيث طبيعته** هناك تسامح شكلي لا يستند إلى إيمان بقيمة التسامح، وإنما تفرضه ظروف معينة، وتسامح موضوعي يصدر عن إيمان بقيمة التسامح مهما تغيرت الظروف، ومن **حيث الاستمرارية** هناك تسامح دائم، وتسامح مؤقت، ومن **حيث الأبعاد** هناك تسامح داخلي، أي داخل الدولة أو المجتمع الواحد، وتسامح خارجي يشمل العالم الخارجي، ومن **حيث النطاق** هناك التسامح العام الذي يشمل كل مكونات المجتمع وفئاته، والتسامح الخاص الذي يقوم تجاه فئة معينة دون أخرى، ومن **حيث الموضوع** هناك التسامح الكلي الديني والفكري والسياسي وغيرها، والتسامح الجزئي الذي يقتصر على مجال معين أو مجالات عدة[108].

(108) علي عباس مراد وفاتن محمد رزق، «التسامح في بعض الحضارات القديمة»، المجلة السياسية والدولية، العدد 22 (بغداد: الجامعة المستنصرية، 2012)، ص.13.

وثمَّة من يضع مؤشرات لقياس التسامح في المجتمع على المستويات السياسية والدينية والاجتماعية والثقافية وغيرها؛ فعلى **المستوى السياسي** هناك مؤشرات عدة منها: هل هناك دين رسمي للدولة، أو عقيدة علنية ورسمية تلتزمها في سياساتها وتشريعاتها؟ وهل يوجد اعتراف رسمي بالأقليات وحقوقها؟ وهل يتوافر للجميع حرية التعبير والنقد؟ وهل توجد أعراف يتم الاستناد إليها لتأسيس وفاق وطني؟ أم أن الأزمات تفتح المجال للعنف وتحكيم ميزان القوى؟ وعلى **المستوى الديني ـ الثقافي** ثمة مؤشرات منها: هل هناك نص في الدستور على أن للدولة ديناً محدداً أو مذهباً تلتزمه أو عقيدة أيديولوجية تنظم حركة المجتمع؟ وهل يوجد نص في الدستور على حرية الدين والمعتقد؟ وهل توجد فتاوى تكفيرية معلنة؟ وهل لكل الفرق أو الطوائف الحق في أماكن عبادة خاصة بها؟ وهل توجد في تقاليد السكان وثقافتهم ثقافة السلم والحرص على التعايش المشترك؟ وعلى المستوى الاقتصادي-الاجتماعي ثمة مؤشرات من قبيل: هل تؤثر الحالة الاجتماعية في الحصول على نوع خاص من الوظائف؟ وما نسبة حالات الزواج بين الطوائف والفئات الاجتماعية المختلفة؟ وكيف تبدو العلاقة بين النساء والرجال؟ وهل الفوارق الطبقية بين السكان محدودة أم بارزة بشكل حاد؟ وغيرها[109].

(109) انظر حول هذه المؤشرات بالتفصيل: صلاح الدين الجورشي، «مقترحات لقياس مستوى التسامح في العالم العربي»، الشبكة العربية للتسامح، على الرابط التالي:
http://www.tasamuhnet.org/pdf/evpdf/3.%20Proposals%20to%20Measure%20Tolerance%20Indicators%20in%20the%20Arab%20World.pdf

ونظراً إلى أهمية التسامح في تحقيق الأمن والسلام والاستقرار في العالم؛ فقد أعطته منظمة الأمم المتحدة أهمية خاصة، وتناوله الكثير من الاتفاقيات الدولية مثل: الاتفاقية الدولية بخصوص إبادة الجنس البشري عام 1948، والاتفاقية الدولية للقضاء على جميع أشكال التمييز العنصري عام 1956، والاتفاقية الدولية حول

جريمة الفصل العنصري عام 1973، واتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة الصادرة عام 1979، والإعلان الخاص بالقضاء على جميع أشكال التعصب والتمييز القائمَين على أساس الدين أو المعتقد في عام 1981، إضافة إلى إعلان الأمم المتحدة بخصوص حقوق الأقليات عام 1992، وغيرها[110].

(110) انظر في ذلك بالتفصيل: عبدالحسين شعبان، «في مفهوم التسامح وإشكالاته»، الشبكة العربية للتسامح، على الرابط التالي: http://www.tasamuhnet.org/pdf/evpdf/1.%20The%20Concept%20of%20Tolerance%20and%20its%20Manifestations.pdf

ب ـ موقف الإسلام من التسامح: نظراً إلى استناد المتطرفين والإرهابيين إلى نصوص دينية إسلامية في تبرير تطرفهم وتعصبهم وكراهيتهم تجاه الآخر، خاصة المختلف دينياً ومذهبياً؛ فإن من المهم بيان الموقف الحقيقي للإسلام من قضية التسامح، سواء على مستوى القرآن الكريم أو السنة النبوية.

ففي **القرآن الكريم** نصوص واضحة لا لبس فيها تؤكد التسامح بشكل عام، والتسامح الديني على وجه الخصوص، حتى إنه يحتوي على سورة كاملة باسم السيدة مريم العذراء أم سيدنا المسيح عليه السلام، وسورة باسم إحدى معجزات المسيح وهي سورة المائدة، وسورة باسم آل المسيح وهي سورة آل عمران[111]. وقد ورد التسامح في القرآن الكريم بمعانٍ مختلفة منها: العفو، والصفح، والإحسان، ورفع الحرج، ودفع السيئة بالحسنة، وعدم إكراه الناس على دين معين، وغيرها[112].

(111) شوقي أبوخليل، مرجع سابق، ص ص ـ39 40.

(112) بلال صفي الدين، «مفهوم التسامح في الإسلام وصلته بمفهوم الواجب.. دراسة تطبيقية»، ورقة مقدمة إلى مؤتمر: التسامح الديني في الشريعة الإسلامية، جامعة دمشق، 11ـ12 يوليو 2009.

حيث يؤكد القرآن الكريم بشكل قاطع رفض فرض دين معين على الناس، وأن الحرية الدينية مطلقة للجميع «لا إكراهَ في الدين»[113]، ويقول تعالى: «وقل الحق من ربكم؛ فمن شاء فليؤمن، ومن شاء فليكفر»[114]. و«قُلْ يَا أَيُّهَا الكافرونَ، لا أعبدُ ما تعبدونَ، ولا أنتم عابدونَ ما أعبد، ولا أنا عابدٌ ما عبدتم، ولا أنتم عابدون ما أعبد، لكم دينُكم وليَ دينِ»[115]، و«فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون»[116]، وهذه الآية الأخيرة تؤكد بما لا يدع مجالاً للشك فساد منطق الذين يريدون فرض اعتقادهم الديني على الناس بصفته هو الاعتقاد الصحيح، وما عداه خطأ، لكن الله يقول لهؤلاء إنه هو الذي سوف يحكم بين الناس يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون، وليس لغيره الحق في ذلك. ويخاطب الله نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم، مؤكداً أنه مبلِّغ ومذكِّر، وليس بمسيطر على عقائد الناس، وليس له أن يكرههم على دخول الإسلام «فذكِّر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر»[117]، وكذلك: «ولو شاء ربكَ لآمن مَن في الأرض كلهم جميعاً أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين»[118]. وإذا كان الله سبحانه وتعالى لم يعطِ النبي صلى الله عليه وسلم سلطة فرض الدين على الناس، أو إجبارهم عليه، فكيف يسوِّغ المتطرفون لأنفسهم هذه السلطة؟! وثمة آيات عديدة تدعو إلى الصفح والعفو في العلاقة بين المسلمين وبعضهم بعضاً، وبينهم وبين غيرهم، منها: «فاعفُوا واصفحوا حتى يأتيَ

(113) سورة البقرة، الآية 256.

(114) سورة الكهف، الآية 29.

(115) سورة الكافرون، الآيات: 1ـ6.

(116) سورة البقرة، الآية 113.

(117) سورة الغاشية، الآية 21ـ22.

(118) سورة يونس، الآية 99.

الله بأمره، إن اللهَ على كل شيء قدير»[119]، و»فاعفُ عنهم واصفحْ إن الله يحب المحسنين»[120]، و»فاصفح الصفح الجميل»[121]، وكذلك «ولا يأتلِ أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا..»[122].

(119) سورة البقرة، الآية 109.
(120) سورة المائدة، الآية 13.
(121) سورة الحجر، الآية 85.
(122) سورة النور، الآية 22.

ويؤكد القرآن الكريم الإحسان في المعاملة، سواء على مستوى الفعل أو القول، ومن الآيات القرآنية في هذا المعنى: «وقولوا للناس حسناً»[123]، «وأحسنوا إن الله يحب المحسنين»[124]، و»ادعُ إلى سبيل ربكَ بالحكمة والموعظة الحسنة، وجادلهم بالتي هي أحسن»[125]، و»إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكَّرون»[126]، و»ادفع بالتي هي أحسن السيئة نحن أعلم بما يصفون»[127]، «ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن..»[128]، و»ادفع بالتي هي أحسن؛ فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم»[129]. وهذه الآية الأخيرة تعبِّر عن قمة التسامح الذي يدعو إليه الإسلام حتى إنه يحث على الحسنى مع الأعداء حتى لكأنهم أصدقاء حميمون.

(123) سورة البقرة، الآية 83.
(124) سورة البقرة، الآية 195.
(125) سورة النحل، الآية 125.
(126) سورة النحل، الآية 90.
(127) سورة المؤمنون، الآية 96.
(128) سورة العنكبوت، الآية 46.
(129) سورة فصلت، الآية 34.

وعلى مستوى **السنة النبوية**؛ فإن النبي محمداً صلى الله عليه وسلم يقول «أفضل المؤمنين رجل سمح البيع، سمح الشراء، سمح القضاء، سمح الاقتضاء»[130]، و»اسمح يسمح لك»[131]، و»رحم الله عبداً سمحاً إذا باع، سمحاً إذا اشترى، سمحاً إذا اقتضى»[132]، و»دخل رجل الجنة بسماحته»[133].

(130) رواه الطبراني.
(131) رواه أحمد.
(132) رواه البخاري وابن ماجة والترمذي.
(133) رواه أحمد.

وعلى مستوى **الممارسة عبر التاريخ الإسلامي**؛ فإن دستور المدينة، أو وثيقة المدينة المنورة، أو «الصحيفة»[134]، التي أصدرها النبي محمد صلى الله عليه وسلم بعد ذهابه إلى المدينة المنورة، كانت بمنزلة وثيقة للتسامح؛ لما انطوت عليه من نصوص تؤكد التعايش بين المسلمين وغيرهم من اليهود وغير المؤمنين، وتضمن لهم حقوقاً متساوية بصرف النظر عن الدين، وتضمن حرية العبادة والمعتقد بعيداً عن أي ضغوط، وحتى عندما لجأ النبي صلى الله عليه وسلم إلى إجلاء القبائل اليهودية عن المدينة؛ فإن ذلك كان يعود إلى غدرها به، ونقضها العهد معه، ولم يكن ذلك لأسباب دينية[135]. ولهذا فإن المؤرخ اليهودي **إسرائيل ولفنسون**[136] يعترف بأن النبي محمداً صلى الله عليه وسلم لم يتعرض لصحف اليهود المقدسة في المدينة المنورة، ويقارن ذلك بما فعله الرومان حينما دخلوا القدس سنة 70 ميلادية «إذ أحرقوا الكتب المقدسة، وداسوها بأرجلهم»[137]. وتورد كتب التاريخ وصايا الخليفة الأول أبي بكر الصديق لجيش أسامة بن زيد قبل خروجه لإحدى الغزوات لتأكيد الموقع العميق للتسامح في الإسلام نصاً وممارسة، حيث جاء فيها: «لا تخونوا، ولا

(134) انظر بالتفصيل حول هذه الصحيفة أو الوثيقة: مركز القدس للدراسات السياسية، الإسلام: الدولة والمواطنة: نحو خطاب إسلامي ديمقراطي مدني ،(عمان: دار المنهل ناشرون، 2008)، ص.127ـ129. وانظر كذلك: صحيفة الاتحاد، «العلماء: الإسلام ضمن حقوق أصحاب الديانات السماوية»، الاتحاد، أبوظبي، 10 مايو 2013.
(135) شوقي أبوخليل، مرجع سابق، ص. 13.
(136) هو باحث يهودي جاء إلى مصر عام 1922، وحصل على الدكتوراه من جامعة القاهرة، ودرس اللغات السامية في كلية دار العلوم بجامعة القاهرة، ثم عاد إلى فلسطين بعد قيام دولة إسرائيل، انظر: محمود الزيباوي، «الأعلام اليهود في بلاد الإسلام كانوا عبريين وعرباً»، موقع الف، على الرابط التالي: http://aleftoday.info/article.php?id=11325
(137) انظر: إسرائيل ولفنسون، تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، ج1، (القاهرة: مطبعة الاعتماد، 1927)، ص. 170.

تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا طفلاً صغيراً، ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة، ولا تعقروا نخلاً، ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاةً ولا بقرة ولا بعيراً إلا لمآكله، وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع؛ فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له، وسوف تقدمون على قوم يأتونكم بآنية فيها ألوان الطعام، فإن أكلتم منها شيئاً بعد شيء فاذكروا اسم الله عليها. وتلقون أقواماً قد فحصوا أوساط رؤوسهم، وتركوا حولها مثل العصائب، فاخفقوهم بالسيف خفقاً. اندفعوا باسم الله»[138]. وحينما ذهب الخليفة الثاني عمر بن الخطاب إلى بيت المقدس رفض أن يصلي داخل الكنيسة، وصلى بجوارها احتراماً لفكرة تنوع المعتقدات من ناحية، وخوفاً من أن يتخذ المسلمون من بعده هذه الكنيسة مسجداً، وأبقى عمرو بن العاص كنائس مصر، ولم يمسها، ومنح أهلها الأمان على «أنفسهم وملتهم وكنائسهم وصلبهم وبرهم وبحرهم»[139]. وهذا حدث مع شعوب كل الدول التي فتحها المسلمون، حتى إن المستشرقة الإيطالية لورافيشيا فاغليري[140] تقول بوضوح «ليس من الغلو أن تصر على أن الإسلام لم يكتفِ بالدعوة إلى التسامح الديني، بل تجاوز ذلك ليجعل التسامح جزءاً من شريعته الدينية»[141].

ج ـ نهج دولة الإمارات العربية المتحدة في دعم التسامح: تُعَدُّ دولة الإمارات العربية المتحدة نموذجاً عربياً وإسلامياً ودولياً في التسامح والعمل من أجل تعزيز قيم التعايش والحوار بين الشعوب، بصرف النظر عن الدين أو العرق أو الجنس أو الطائفة[142]. ولعل في وجود أبناء نحو 200 جنسية يعيشون في وئام وتسامح وكرامة على أرض الدولة[143]؛ ما يؤكد الريادة الإماراتية في هذا الشأن. ولا تكتفي القيادة الإماراتية في اهتمامها بالتسامح بالقول، وإنما تحرص على الفعل، بل تحرص على أن تكون قدوة هي بنفسها في هذا الخصوص، وهذا ما يتضح بجلاء من مبادرة صاحب السمو الشيخ محمد بن زايد آل نهيان، ولي عهد أبوظبي، نائب القائد الأعلى للقوات المسلحة، حفظه الله، بتغيير اسم المسجد الذي كان يحمل اسم سموه في منطقة المشرف في أبوظبي إلى مسجد مريم أم عيسى[144]. وكان المغفور له، بإذن الله تعالى، الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، طيب الله ثراه، داعماً للتسامح، وداعياً إليه، وعاملاً من أجله؛ ففي لقاء له، رحمه الله، مع مجموعة من كبار رجال الدين العرب عام 1993 قال «إن الواجب يحتِّم على أهل العلم أن يبينوا للناس جوهر الإسلام ورسالته العظيمة بأسلوب يليق بسماحة الدين الحنيف، الذي يحث على الدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة، حتى يستجيب الناس، ويواجهوا الإرهاب باسم الدين والقتل باسم الدين».[145]

(138) جامعة منيسوتا، مكتبة حقوق الإنسان، على الرابط التالي: http:// hrlibrary.umn.edu/arab/IS_6.html

(139) شوقي أبوخليل، مرجع سابق، ص ص.17ـ19.

(140) هي مستشرقة إيطالية، ولدت سنة 1893، ودرست التاريخ الإسلامي واللغة العربية وآدابها، وعملت أستاذاً للغة العربية وتاريخ الحضارة الإسلامية في جامعة نابولي، انظر: أحمد مراد، «لورافيشيا: محمد الصادق الطاهر الأمين»، الاتحاد، أبوظبي، 14 يوليو 2015.

(141) لورافيشيا فاغليري، دفاع عن الإسلام، ترجمة منير البعلبكي ،(بيروت: دار العلم للملايين، 1981)، ص. 35.

(142) صحيفة الاتحاد، «الإمارات نموذج عالمي للتسامح والتعايش مع الآخر»، الاتحاد، أبوظبي، 19 مارس 2017.

(143) شيماء المرزوقي، منذ متى تطير الخفافيش تحت الشمس؟، (أبوظبي: دار كتاب للنشر والتوزيع، 2016)، ص. 94. 2016.

(144) صحيفة الاتحاد، «اطلاق اسم مريم أم عيسى على مسجد محمد بن زايد بالمشرف»، الاتحاد، أبوظبي، 15 يونيو 2017.

(145) صحيفة الإمارات اليوم، «زايد ورسالة التسامح الدينية»، الإمارات اليوم، دبي، 23 يونيو 2016.

وقد اتخذت دولة الإمارات العربية المتحدة الكثير من الخطوات العملية على طريق تعزيز قيم التسامح في مجتمعها والعالم، وتحويل توجهاتها في هذا الشأن إلى استراتيجيات وبرامج عمل على أرض الواقع؛ حيث تم إنشاء وزارة دولة للتسامح في فبراير 2016، وقال صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم، نائب رئيس الدولة، رئيس مجلس الوزراء، حاكم دبي، رعاه الله، حينها «لا يمكن أن نسمح بالكراهية في دولتنا، ولا يمكن أن نقبل بأي شكل من أشكال التمييز بين أي شخص يقيم بها، أو يكون مواطناً فيها»[146]، وفي «رسالة التسامح»[147]، التي نشرها سموه في نوفمبر 2017، قال إن «أكثر ما نفاخر به الناس والعالم عندما نسافر ليس ارتفاع مبانينا، ولا اتساع شوارعنا، ولا ضخامة أسواقنا، بل نفاخرهم بتسامح دولة الإمارات، نفاخرهم بأننا دولة يعيش فيها جميع البشر، على اختلافاتهم التي خلقهم الله عليها، بمحبة حقيقية وتسامح حقيقي، يعيشون ويعملون معاً لبناء مستقبل أبنائهم دون خوف من تعصب أو كراهية أو تمييز عنصري أو تفرقة بناء على لون أو دين أو طائفة أو عرق»[148]. وفي يونيو 2016 اعتمد مجلس الوزراء الإماراتي البرنامج الوطني للتسامح بهدف نشر قيم السلام والتعايش، بالارتكاز على: الإسلام، والدستور الإماراتي، وإرث المغفور له، بإذن الله تعالى، الشيخ زايد، طيب الله ثراه، والأخلاق الإماراتية، والمواثيق الدولية، والآثار، والتاريخ، والفطرة الإنسانية، والقيم المشتركة، ويتضمَّن البرنامج خمسة محاور هي: دور الحكومة كحاضنة للتسامح، وترسيخ دور الأسرة المترابطة في بناء المجتمع، وتعزيز التسامح لدى الشباب، ووقايتهم من التعصب والتطرف، وإثراء المحتوى العلمي والثقافي، والمساهمة في الجهود الدولية للتسامح، وإبراز دور الدولة الرائد في هذا المجال[149]. وفي يوليو 2015 أصدر صاحب السمو الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان، رئيس الدولة، حفظه الله، مرسوماً بقانون رقم 2 لسنة 2015 بشأن مكافحة التمييز والكراهية، يقضي بتجريم الأفعال المرتبطة بازدراء الأديان ومقدساتها، ومكافحة أشكال التمييز كافة، ونبذ خطاب الكراهية عبر مختلف وسائل وطرق التعبير، ويحظر التمييز بين الأفراد أو الجماعات على أساس الدين، أو العقيدة، أو المذهب، أو الملَّة، أو الطائفة، أو العرق، أو اللون، أو الأصل، وغير ذلك من البنود التي تعزز من قيمة التسامح في المجتمع، وتجعلها مستندة إلى إطار قانوني قوي[150]. وفي عام 2017 تم إطلاق المعهد الدولي للتسامح بهدف «بث روح التسامح في المجتمع، وبناء مجتمع متلاحم، وتعزيز مكانة دولة الإمارات العربية المتحدة كنموذج في التسامح، ونبذ التطرف وكل مظاهر التمييز بين الناس بسبب الدين أو الجنس أو العرق أو اللون أو اللغة، إلى جانب

(146) محمد بن راشد آل مكتوم، تأملات في السعادة والإيجابية ،(دبي: إكسبلورر للنشر والتوزيع، 2017)، ص. 149. وانظر أيضاً: محمد بن راشد آل مكتوم، «وزراء للتسامح والسعادة والمستقبل، لماذا؟»، موقع صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم، على الرابط التالي: https:// sheikhmohammed.ae/ar_ae/arti_ cles/details?ArticleID=710

(147) رسالة وجهها سموه إلى المواطنين والمقيمين في نوفمبر 2017 بمناسبة اليوم العالمي للتسامح الذي يوافق السادس عشر من نوفمبر من كل عام.

(148) محمد بن راشد آل مكتوم، تأملات في السعادة والإيجابية، مرجع سابق، ص.119.

(149) انظر بالتفصيل حول هذا البرنامج: موقع حكومة الإمارات على الرابط التالي: .https://uaecabinet ae/ar/details/news/uae_cabi_ net_approves_national_toler_ ance_program

(150) انظر بالتفصيل حول القانون: دائرة القضاء، أبوظبي، «قانون مكافحة التمييز والكراهية»، سلسلة التشريعات الاتحادية، على الرابط التالي: https:// www.adjd.gov.ae/sites/Author_ ing/AR/ELibrary%20Books/E_ Library/PDFs/Anti_discrimina_ tion%20and%20hate%20law.pdf

تكريم الفئات والجهات التي تسهم في إرساء قيم التسامح وتشجيع الحوار بين الأديان»[151].

(151) صحيفة الإمارات اليوم، «محمد بن راشد يصدر قانوناً بإنشاء المعهد الدولي للتسامح»، الإمارات اليوم، دبي، 21 يونيو 2017.

ولعل أهم ما يمكن ملاحظته على موقف دولة الإمارات العربية المتحدة من قضية التسامح أنها تنظر إلى هذه القضية بصفتها من صميم الأمن الوطني؛ ولذلك تعمل على ترسيخ القيم الخاصة بها من خلال تشريعات ومبادرات وبرامج تحظى بالدعم والرعاية من قبل القيادة العليا. ومن ناحية ثانية؛ فإن العمل على ترسيخ قيم التسامح لا يقتصر على الساحة المحلية فحسب؛ وإنما يمتد إلى الساحتين الإقليمية والدولية من منطلق إيمان القيادة الإماراتية بأن التسامح هو الطريق نحو نبذ التطرف والعنف، ومن ثم تحقيق الاستقرار والسلام العالميين. ومن ناحية ثالثة فإن النهج الإماراتي في مجال التسامح يستند إلى إرث قديم وراسخ.

شكل رقم (2): ما موقفك من «جماعة الإخوان المسلمين؟»

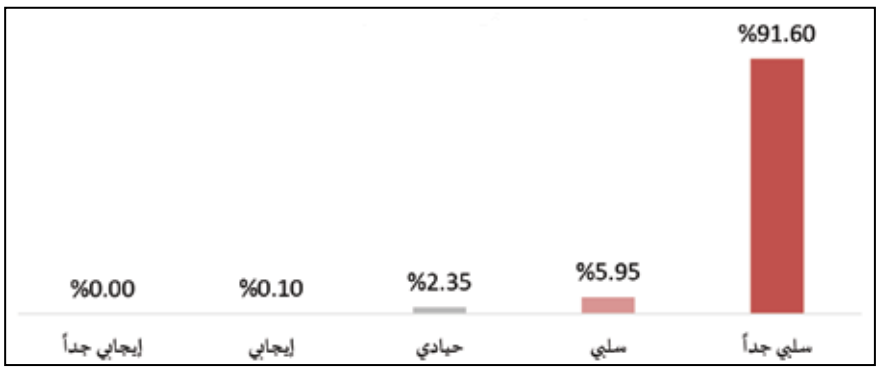

والواقع أنه يمكن تلمُّس النتائج الإيجابية للجهد الإماراتي في مجال تدعيم قيم التسامح، سواء على المستوى المحلي أو الدولي.

فعلى المستوى المحلي يتسم المجتمع الإماراتي بالانفتاح وقبول الآخر والاعتدال ونبذ التطرف والعنف، ولعل هذا ما أكده بوضوح استطلاع الرأي الذي أجراه مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية في الفترة 10 ـ 16 ديسمبر 2017، حول موقف مواطني دولة الإمارات العربية المتحدة من جماعة الإخوان المسلمين، وشَمِل إمارات الدولة كلها، بعيّنة تمثيلية بلغ حجمها 2084 مواطناً ومواطنة، ممثلة للفئات كلها، سواء على مستوى الجنس، أو التعليم، أو الدخل، أو العمر، أو غيرها، حيث كانت النتيجة الأساسية هي أن 97.55% من المستطلعة آراؤهم لديهم موقف سلبي جداً، أو سلبي من جماعة «الإخوان المسلمين» (شكل رقم 2)، وأن الموقف السلبي من جماعة «الإخوان المسلمين» يزداد كلما ازداد مستوى التعليم؛ حيث

جاءت نسب مَن لديهم موقف سلبي جداً أو سلبي من جماعة «الإخوان المسلمين» بحسب المستوى التعليمي كالآتي: «ما دون الثانوي» 96.19%، «ثانوي» 96.47%، «دبلوم» 97.52%، «جامعي» 97.92%، «دراسات عليا» 98.74%، ويشمل هذا الموقف السلبي إمارات الدولة كلها من دون استثناء، وتتبناه فئات المجتمع كلها[152].

(152) «استطلاع رأي حول: موقف مواطني دولة الإمارات العربية المتحدة من جماعة الإخوان المسلمين»، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، أبو ظبي، 10 ـ 16 ديسمبر 2017.

وعلى المستوى الدولي، ونتيجة لنهج دولة الإمارات العربية المتحدة الفاعل في تدعيم قيم التسامح

والعمل من أجلها على المستويات المحلية والإقليمية والدولية؛ فقد حصلت على المركز الأول إقليمياً، والثالث عالمياً في **مؤشر التسامح**، ضمن تقرير الكتاب السنوي العالمي لعام 2016، الصادر عن معهد التنمية الإدارية في سويسرا، متقدمة على دول مثل كندا والسويد وهولندا ونيوزيلندا وسنغافورة[153].

(153) صحيفة الإمارات اليوم، «الإمارات الأولى إقليمياً والثالثة عالمياً في مؤشر التسامح»، الإمارات اليوم، دبي، 16 نوفمبر 2016.

سابعاً: إصلاح الخطاب الديني.. الضرورة والمجالات

إذا كان الإسلام هو دين التسامح بنصوص القرآن والسنة النبوية والممارسات التاريخية، وبشهادة مستشرقين ومؤرخين منصفين من غير المنتمين إليه، فمن أين يأتي هؤلاء المتعصبون والمتطرفون والإرهابيون بأفكارهم المتطرفة والدموية التي يبررون بها قتل غير المنتمين إلى الإسلام وعدم التسامح معهم، وينسبونها إلى الإسلام زوراً وبهتاناً؟ هذا سؤال مهم يقودنا إلى الحديث عن قضية إصلاح الخطاب الديني لتنقية الفقه والتراث من الكثير من الأمور التي لا علاقة لها بصحيح الدين، ويتم الاعتماد عليها من قبل المتطرفين والمتشددين، ويقدمونها إلى الناس بصفتها هي الدين، وما هي من الدين في شيء.

(154) أحمد عرفات القاضي، تجديد الخطاب الديني (القاهرة: مكتبة مدبولي، 2013)، ص.3.

وهناك مشكلة كبيرة في الخطاب الديني المعاصر في العالمين العربي والإسلامي؛ ما يعد مصدراً أساسياً من مصادر التطرف الديني، حتى وصلت الأمور إلى «اختزال الإسلام في الوقت الراهن في كلمتين اثنتين هما الإرهاب والتخلف»[154]، حيث يتسم هذا الخطاب بشكل عام بالكثير من السمات لعل أهمها: الوقوف عند ظاهر النصوص دون مقاصدها، وقلة الاهتمام بدور العقل والعلم في نهضة المجتمعات، والاستغراق في الحديث عن الماضي على حساب الاهتمام بالحاضر والمستقبل؛ ولذلك يوصف بأنه خطاب ماضوي، وعدم ترتيب الأولويات بشكل صحيح، والترهيب والتخويف، والميل إلى التشديد على الناس، والانغلاق[155]، والاعتماد على الحديث الشريف، واعتباره قرآناً على الرغم من أن النبي صلى الله عليه وسلم قد أمر بعدم تدوين أقواله وأفعاله[156]، وإساءة الظن في أي رأي أو مذهب أو فكر

(155) انظر في ذلك بالتفصيل: زياد حافظ، «الخطاب الديني والتجدد الحضاري في الأمة العربية»، المستقبل العربي، العدد 414، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، أغسطس 2013)، ص.24ـ57. وانظر أيضاً: بليغ حمدي، فقه الخطاب الديني المعاصر (الشارقة: دار الخليج للنشر والتوزيع، 2017)، ص. 19. وكذلك: كمال أبوالمجد، «الدين والدولة في الوطن العربي: مداخل إلى إصلاح الخطاب الديني»، المستقبل العربي، العدد 406، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ديسمبر 2012)، ص ص. 39ـ57.

(156) كمال حافظ، مرجع سابق، ص. 29.

مخالف، والمبالغة في تقديس علماء السلف، أو علماء القرون الإسلامية الأولى، والتشدد في رفض أي فكرة جديدة[157]. وتلخص إحدى الدراسات سمات الخطاب الديني المعاصر في الآتي: هو خطاب يمجِّد التاريخ الإسلامي، ولا ينظر إليه نظرة موضوعية نقدية، وخطاب إقصائي للآخر المختلف في الدين أو الرأي، واتهاميٌّ بمعنى أنه يوجه اللوم إلى الآخر عن كل الأزمات والمشكلات التي يواجهها المسلمون، وتحريضي بمعنى أنه يعبئ الشباب، ويحرِّضهم على الانضمام إلى الجماعات المتطرفة، وتبريري بمعنى أنه يبرر اللجوء إلى العنف، ويعدُّه رد فعل للظلم الأمريكي والإسرائيلي وغيره[158].

وعلى الرغم من أن الدعوة إلى الإصلاح الديني في العالمين العربي والإسلامي قديمة وتعود إلى القرن التاسع عشر، واستمرت على أيدي بعض الرواد خاصة جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده حتى بداية القرن العشرين، فإنها تعرضت لانتكاسة مع ظهور التنظيمات الدينية التي برزت على السطح بعد إلغاء الخلافة في عام 1924[159]، وفي مقدمتها جماعة الإخوان المسلمين التي أسست في عام 1928[160].

وإضافة إلى ما سبق؛ فإن هناك الكثير من الأسباب التي ساهمت في إعاقة طريق الدعوات إلى الإصلاح الديني، أو إصلاح الخطاب الديني، منذ سنوات طويلة لعل أهمها: انتشار التيار السلفي بفكره المتشدد في المنطقة العربية، وإغلاق باب الاجتهاد لدى أهل السنة والجماعة، واعتماد بعض الحكومات العربية والإسلامية على الشرعية الدينية، إضافة إلى أن العمل من أجل إصلاح الخطاب الديني في معظمه مبادرات فردية منفصلة، وليس مبادرات جماعية، أو من خلال مؤسسات دينية[161]، وهذا فضلاً عن عدم جدية بعض المؤسسات الدينية الكبرى في العالمين العربي والإسلامي في التصدي لقضية إصلاح الخطاب الديني، ورفع البعض من السلفيين والمتشددين فزاعة الخطر على الإسلام في وجه دعاة الإصلاح الديني، أو المطالبين بخطاب إسلامي معاصر يراعي تطورات العصر من ناحية، ويساعد الشباب على وجه الخصوص في الخروج من فخاخ الجماعات المتطرفة والظلامية من ناحية أخرى.

ونتيجة لهذه المشكلات التي تواجه تجديد الخطاب الديني؛ فإن هذا الخطاب غير قادر على الوفاء بمهامه الأساسية التي يجب أن يقوم بها، وأهمها: تحصين المجتمعات الإسلامية ضد التطرف والانحراف الفكري، وتفعيل وتعزيز القواسم المشتركة بين الأديان والمذاهب المختلفة، سواء في المجتمع الواحد أو على المستوى العالمي، إضافة إلى تقديم صورة إيجابية عن الإسلام والمسلمين في

(157) رؤوف أحمد محمد الشرقاوي، «الخطاب الديني بين سلبية الجمود وضرورة التجديد»، جامعة الكوفة: كلية الفقه، على الرابط التالي: http:// www.fqh.uokufa.edu.iq/staff/raoofa.mohammed/template/b/3.pdf

(158) جمال محمد بواطنة، «تجديد الخطاب الديني المعاصر ضرورة ملحة»، المؤتمر العام الواحد والعشرون للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 5ـ8 مارس 2009، ص. 7، على الرابط التالي: http://kep.org.sa/wp_content/uploads/2015/09/Renewal.of_.Islamic.Discourse_04.pdf

(159) هاني نسيرة، «الإصلاح الديني واللحظة الداعشية»، الشرق الأوسط، لندن، 4 مايو 2015.

(160) جمال سند السويدي، السراب، مرجع سابق، ص.264.

(161) عريب الرنتاوي، «لماذا فشلت حركة الإصلاح الديني في العالم العربي؟»، موقع قناة الحرة، على الرابط التالي: https://www.alhurra.com/a/reforms_middle_east_ora_ib/398983.html

العالم[162]. وإذا كان أحد الباحثين قد حدد خمسة شروط أو منطلقات لنجاح إصلاح الخطاب الديني هي أن يكون الإيمان مسألة فردية، والإيمان بأن العقل يكمل مسيرة الوحي، والوعي الأخلاقي، والتمييز بين الدين والسلطة السياسية، والإصلاح الاجتماعي[163]، **فإن أي حركة جادة لتجديد الخطاب الديني، من وجهة نظري، يجب أن:**

1 ـ تركز بوضوح على إعادة قراءة النص القرآني والحديث الشريف والتراث[164]، بما يتوافق مع تطورات العصر من ناحية، والمحافظة على الثوابت الدينية من ناحية أخرى، إضافة إلى عدم الارتهان إلى التفسيرات والاجتهادات التي تمت في عصور قديمة كان لها ظروفها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي تختلف عن الظروف الحالية. فضلاً عن ضرورة تقديم قراءة عصرية لموقف الإسلام من قضايا الدولة والشريعة والاقتصاد والثقافة وغيرها من القضايا التي ينطوي الخطاب الإسلامي القديم حولها على الكثير من جوانب الجدل واللبس.

2 ـ تتبناها مؤسسات دينية مؤثرة حتى تكون قادرة على إيصال صوتها من ناحية، والتأسيس الصحيح لمفهوم تجديد الخطاب الديني من ناحية أخرى؛ تفادياً لتضارب وتصارع الرؤى والتصورات، ومن ثم استنزاف الجهد من دون الوصول إلى نتائج حقيقية. لكن من المهم أولاً أن تكون هذه المؤسسات لديها قناعة كاملة بأهمية تجديد الخطاب الديني والأسباب التي تدعو إليه.

3 ـ أن يتصدى لعملية إصلاح الخطاب الديني المتخصصون بالموضوع من العلماء، حتى لا يؤدي تدخل غير المتخصصين، أو قليلي العلم، إلى إفساد الهدف الحقيقي من الحديث عن إصلاح الخطاب الديني.

4 ـ أن يكون هناك تركيز من الجهات التي تتولى مهمة العمل على الإصلاح الديني، أو إصلاح الخطاب الديني، على أمرين: **الأول** هو التصدي للدعاية السلبية التي تقوم بها بعض القوى الدينية المتشددة ضد فكرة إصلاح الخطاب الديني، وتصويرها بأنها ضد الدين، وتهدف إلى هدمه، **والثاني** هو بذل جهد أكبر لتوضيح مضامين إصلاح الخطاب الديني للناس الذين قد يلتبس عليهم الأمر، وذلك من خلال تأكيد أن الأمر لا يتعلق بثوابت الدين، وإنما بالخطاب الديني، ولا يتعلق بالشريعة، وإنما بالتراث والفقه والتاريخ وغيرها من الأمور محل الجدل والخلاف.

(162) جمال محمد بواطنة، «تجديد الخطاب الديني المعاصر ضرورة ملحة»، مرجع سابق.

(163) بوابة الشروق، «عمار علي حسن يحدد 5 شروط لنجاح تجديد الخطاب الديني»، 26 فبراير 2017 على الرابط التالي: http://www.shorouknews.com/news/view.aspx?cdate=26022017&id=4ae91142_f6e2_465e_98d8_31ef9212badd

(164) انظر في ذلك بالتفصيل: زياد حافظ، مرجع سابق، ص ص. 34ـ51.